

**الجزور الدينية الكتابية لاستهداف
أمريكا الارث الحضاري لمالك بلاد
الرافدين القديمة (أشور وبابل) عام ٢٠٠٣**

أ.م.د. سعدي محمد عواد

التدريسي في قسم علوم القرآن/كلية التربية للبنات/جامعة الأنبار

**(Biblical Religious Roots for Targeting America the Cultural
Heritage of the Ancient Mesopotamian Kingdoms (Assyria and
Babylon) in 2003)**

Resercher: assist.Pro.dr.Saadi m.a. Al-fahdawi

يقدم البحث دراسة لخفايا السلوك الأمريكي وتعامله مع العراق كبلد والعراقيين كشعب، ويهدف للكشف عن دوافع أمريكا في استهداف العراق من خلال شن الحروب المتعددة عليه وحصاره ، ومعلوم مقدار النفوذ للصهيونية على مصدر القرار في أمريكا بعد ظهور التيار الأصولي اليميني المسيحي، وهنا التقت مصالح ورؤى مشتركة بين الصهيونية التي سخرت الموروث الديني من جهة، والتيار اليميني المتصهين من جهة أخرى، فكانت عذابات بني اسرائيل القديمة نقطة مهمة في التقائهما، تمثلت بأهم حدثين عاشهما اليهود في التاريخ القديم هما غزو الآشوريين ثم البابليين لاحقاً لمملكتي بنو اسرائيل (اسرائيل ويهوذا). هذه الأحداث اعتبرها اليهود أسوء ما حل بهم، قام مدونوا التوراة وشراحها بتضمينها وعودا بالهلاك والتدمير والانتقام الذي لا بد أن يحصل لآشور وبابل، استطاعت الصهيونية تسخير قوة أمريكا ونفوذها العالمي لتحقيق تلك النبوءات الكتابية، فتبنتها أمريكا وكانت حروبها على العراق ابتداء بما سمي بحرب تحرير الكويت وحتى احتلاله عام ٢٠٠٣ بناء على حجج ومبررات واهية لم تستطع أمريكا أن تثبت مصداقيتها حتى بعد الاحتلال، وكان للارث الحضاري القديم حصته الكبيرة من الاستهداف سرقة أو تخريباً أو تدميراً على أيدي قوات الاحتلال بشكل مباشر أو غير مباشر.

الكلمات المفتاحية: اسرائيل، بابل، آشور، التوراة، الصهيونية، النبوءات.

Abstract:

This research presents a study to show the hidden American conduct and treatment of Iraq as a country and the Iraqis as nation. This study aims at exploring the American motives in targeting Iraq throughout starting war and imposing blockades. The power of the Zionist influence on the American decisions sources is no doubt evident especially after the emergence of the radical Christian Whig Current. The common interests and visions of Zionism met with the Zionist Whig current. The old Israeli agonies are the pivotal points they met on. It is exemplified by two important events the Jewish lived during the ancient history, which are the Assyrian and Babylonian invasion. These events are considered the worst, thus the historians point out that Assyria and Babylon will encounter imminent destruction and perdition. In this respect, Zionism has exploited the America's international power and influence to achieve the Biblical prophesies. This idea is adapted by America through its war against Iraq starting from liberating Kuwait to the invasion of 2003 under weak and unreliable pretexts. Consequently, the old cultural heritage has been completely destroyed directly and indirectly.

Key Words : Israel, Babylon, Assyria, Torah, Zionism, Prophesies .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، ومن سار على نهجه الى يوم الدين. وبعد: معلوم أن الدين هو الباعث الأقوى تأثيراً في التفكير، وإذا ما حضرت بقية العناصر الأخرى بجانبه فتبقى له الغلبة والسلطان، لا لشيء الا لكونه الأقرب الى الفطرة الانسانية التي جبلها الخالق ﷻ على التدين، وإذا ما خفت هذا البريق أو ضعفت تلك الجذوة فلا يعني ذلك أن الدين قد فقد مكانته المعهودة فيه، وإنما هو خفوت وقتي ليس الا. وما يهمننا هنا هو ذلك البعد الديني الخفي الذي شحن نفوس قادة أمريكا من الأصوليين الجدد، لتضع العراق نصب أعينها في شن مجموعة من الحروب أدت الى احتلاله وتدميره، والتكثيف بشعبه الذي يمتلك أقدم حضارة تاريخية يمتد عمرها بحدود ثمانية آلاف عام، واستهداف ارثه الحضاري وما يمتلكه من كنوز لا تقدر بثمن كما هو رأي المؤرخين وعلماء الآثار، شعب يتكأ على حضارة كان لها الفضل في رسم معالم الحضارة والثقافة للبشرية جمعاء، وقدمت لها أبجديات الكتابة ورسم الحروف، بجانب أنها حولته من انسان كان بدائياً يعيش على صيد الحيوانات الى انسان مستقر متحضر، واستطاعت حضارات بلاد الرافدين أن تتطور في داخلها، وأن تتمدد خارج حدودها بعد أن أصبحت هي الأقوى في زمانها، وما يعيننا هنا فترتين هما:

الأولى: الربع الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد عندما غزا الآشوريون مملكة اسرائيل وعاصمتها (السامرة) والتي كانت تضم عشرة بطون من أسباط بني اسرائيل.

الثانية: مطلع القرن السادس قبل الميلاد عندما غزا البابليون مملكة الجنوب وعاصمتها (أورشليم) والتي كانت تضم سبطي يهودا وبنيامين. أدت تلك الغزوات الى سقوط ممالك بني اسرائيل وسبي أغلب أهلها، وعاش المسيبيون في آشور وبابل.

رافقت هذه الأحداث ظهور أخبار تورانية واصفة طبيعة ما جرى، ونبوءات أخرى حفلت بها أسفار التوراة، ورؤيا يوحنا اللاهوتي في العهد الجديد، متوعدة ذرية هؤلاء الغزاة من ممالك (أشور وبابل) بالويل والهلاك وأبشع أنواع الانتقام الذي سيحل بها في قادم الزمان. هذه الأخبار والنبوءات التوراتية وما أرفدها من مشاهد في رؤيا يوحنا اللاهوتي لاقت هوى التيار الأصولي اليميني في أمريكا، وذلك لنجاح الصهيونية العالمية في تجنيده وشحنه ليكون هو من يحمل عذابات بني اسرائيل القديمة كما يعتقدون، ويقوم بالانتقام لهم من ممالك بلاد الرافدين القديمة (أشور وبابل) العراق حاليا.

مشكلة البحث: قصدت منه اظهار خفايا الدوافع الدينية التي أدت الى احتلال العراق، وتدمير ارثه الثقافي والحضاري، والذي بدا واضحا استهدافه بشكل رئيسي في الحرب، والفارق الزمني بين مواضيع البحث الرئيسية يبرره العلاقة فيما بينها لتشابكها برغم امتداد الزمن، وما حدث للعراق وشعبه على أيدي الأمريكان ومن تحالف معهم لا يمكن أن يطويه النسيان، سيما ونحن عشنا ولا نزال نعيش فصوله المرعبة، فالأمة الحية لا يمكن أن تمر عليها الأحداث الجسام دون أن يكون لأبنائها موقف مناسب في كل ما يجري، وأنا كمتخصص وباحث في تاريخ الأديان نظرت الى ما جرى من منظار علمي، لكشف المستور واماطة اللثام كما يقال، عن الدوافع الحقيقية من الاستهداف الأمريكي للارث الحضاري والثقافي القديم، الذي يملكه العراق ويمتاز به عن بقية الدول والبلدان، من خلال سلسلة حروب قادتها تحت مبررات سرعان ما كشف الزمان زيفها وتهافت مبرراتها.

حدود البحث: يعالج البحث مرحلتين زمنيتين قديمتين هما سقوط مملكة إسرائيل على أيدي الآشوريين، وسقوط مملكة يهودا على أيدي البابليين خلال الثلث الأخير من القرن الثامن ق.م. وحتى نهاية القرن السادس ق.م. ، ويعالج قضية ظهور التيار الأصولي الانجيلي في أمريكا وعلاقته باليهود عموما والصهيونية خصوصا، كما ويبحث في تداعيات تلك الأحداث القديمة على واقع ما جرى للعراق من حروب انتهت باحتلاله وما حصل لارثه الثقافي والحضاري على أيدي الغزاة الأمريكان ومن جاء معهم.

هدف البحث: تقديم دراسة جادة في مجال تاريخ الأديان تعالج قضية معاصرة لها امتداد ديني موغل بالقدم. والكشف عن تشابك العلاقة فيما بين الصهيونية من جهة والتيار اليميني المسيحي الأصولي في أمريكا من جهة أخرى، وكشف ما تقوم به الصهيونية في برنامجها للهيمنة والانتقام والايخضاع، وتسخير ارثهم الديني المتمثل بالتوراة وشروحها التلمودية لترسيخ وجودهم وفرض ارادتهم، لكي تكون لهم السيادة والريادة على خارطة المجتمعات البشرية، تحقيقا للاصطفاء النوعي المتمثل بأنهم الشعب المختار.

خطة البحث: يتضمن البحث ثلاثة مباحث وكما يلي:

- المقدمة.المبحث الأول: سقوط ممالك بني اسرائيل على أيدي ممالك بلاد الرافدين القديمة.المبحث الثاني: علاقة اليهود بالتيار الأصولي المسيحي اليميني بالصهيونية وتجنيده لمصلحة اسرائيل.المبحث الثالث: أثر النبوءات التوراتية ورؤى العهد الجديد في احتلال العراق وتدمير ارثه الثقافي والحضاري.. الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول سقوط ممالك بنو اسرائيل القديمة على أيدي ممالك بلاد الرافدين القديمة

يجد المؤرخون والباحثون صعوبة في تتبع تسلسل أحداث تاريخ حياة بني اسرائيل في ماضيهم القديم، ويرجع ذلك الى صعوبة الظروف التي عاشتها تلك الأمة، فقد عاشت فصولا من الضعف والتحلل الديني والتفكك الاجتماعي مما جعلها محط أنظار الممالك القريبة والبعيدة منها لإخضاعها والهيمنة عليها، وتبقى التوراة هي مصدر المؤرخين والباحثين في معرفة ودراسة حياة تلك الأمة، ومعلوم أن كثيرا من أخبار التوراة قد خضعت للنقد على أيدي مؤرخي الكتاب المقدس. ويقرر هذه الحقيقة المؤرخ الشهير "غوستاف لوبون" واصفا طبيعة حياة اليهود قديما فيقول: "لا يبدأ تاريخ اليهود بالحقيقة، الا في عهد ملوكهم. كان بنو اسرائيل أقل من أمة، حتى زمن شاول. كانوا أخلاطا من عصابات جامحة، كانوا مجموعة غير منسجمة من قبائل سامية صغيرة، أفاقة بدوية، تقوم حياتها على الغزو والفتح، والجذب وانتهاج القرى الصغيرة، حيث تقضي عيشا رغيدا دفعة واحدة في بضعة أيام، فاذا قضت هذه الأيام القليلة، عادت الى حياة التيه والبؤس". (لوبون، ٢٠٠٩، ص ٤٩)

وما يهمنا هنا ما يتعلق بحدود البحث هو دراسة الحداثيين التاريخيين المهمين المتعلقين بعلاقة ممالك بلاد الرافدين (أشور وبابل) مع مملكتي بني اسرائيل (اسرائيل ويهوذا) لما لهما من علاقة وطيدة بما جرى مؤخرا للعراق (بلاد الرافدين أو بلاد ما بين النهرين) سابقا، من نكبات وحروب أدت الى دمار وتخريب وقتل وجرائم ربما لا مثيل لها، أو قل نظيرها في تاريخ البشرية. ويعتبر موت سليمان علامة فارقة في تاريخ بني اسرائيل موسومة بالسلبية، إذ أن موت سليمان تلاه انقسام الامبراطورية الكرتونية الى كيانين هزيلين، وهذا الانقسام تم بمساندة مصر لكي تؤسس مملكة الأسباط العشرة ومؤسسها يرابعام، الذي ربط مصير مملكته منذ البداية بمصر، والتي أشتهر عنه بعمالته لها منذ عهد

سليمان، ومملكة يهودا وهكذا تجلت بداية الانحدار للكيان العبراني نحو النهاية المحتومة. لكل ما هو مصطنع ومزيف. (ناجي، ٢٠٠٧، ص ٨٦-٨٧) وعصر الانقسام الذي حدث بعد موت سليمان حوالي عام (٩٣٥ ق.م.)، ففي ذلك الوقت حدث انشقاق عظيم في مملكته التي تركها أدى الى انقسامها الى مملكتين هما: مملكة اسرائيل في الشمال وعاصمتها (السامرة) وضمت عشر بطون من بني اسرائيل، وقاد الانشقاق (يربعام) الابن الثاني لسليمان، والذي أصبح ملكا عليها.. مملكة يهودا في الجنوب وعاصمتها (أورشليم) وضمت سبطي يهودا وبنيامين، وملكها (رحبعام) الابن الأكبر لسليمان.

المطلب الأول سقوط مملكة اسرائيل

يجد الناظر في تاريخ المملكتين أن مملكة الشمال (اسرائيل) كانت تسودها الفوضى الاجتماعية، والتحلل من أحكام شريعة التوراة، أكثر مما كانت عليه مملكة يهودا، وكانت اسرائيل أكثر تأثراً بعادات وتقاليد الأمم الأخرى المجاورة لها، وهذا ما أدى الى ضعفها كمملكة، وضعف بني اسرائيل كأمة، لأنها تمثل الحجم الأكبر من بين المملكتين. كانت طبيعة الجو المحيط بهم خليقا بأن يساعد على مظاهر الصراع والافتتال التي تبدو واضحة في روايات الأسفار الخاصة بالملوك، الى الحد الذي تقول فيه التوراة أنه قد تقلب على عرش هذه المملكة ثماني أسر متصارعة متناقضة، أفنيت منها ثلاث أسر فناء تاما، مثلما كان الحال في يهودا التي ساد طابع حكمها الضعف والهزال في ظل السيطرة الآشورية، التي لم تشأ أن تقضي قضاء تاما في السلوك العام على كل ما يتعلق باليهود. (طعيمه، ١٩٩١، ص ٢٥٧، و سغفان، ١٩٨٨، ص ١٨) كان حال مملكة الأسباط العشرة (اسرائيل) التي أقامها "يربعام" موصوفا بأنها كانت مسرحا لأوضاع الفجائع، وما كان يدور فيها من اغتصاب، ومذابح، واستعانة بالأجنبي، وكل ما يضعف تماسكها داخليا، أو يفقدها قيمتها وهيبتها في نظر الآخرين من الممالك المجاورة، مما أثار ازديادهم دوما ومطالبتهم بإبادة بؤرة الفوضى والتمرد تلك - اسرائيل -، ثم يحل الخراب سنة (٧٢١ ق.م.) على يد ملك نينوى سرجون باحتلال السامرة. (لوبون، ٢٠٠٩، ص ٥٨-٥٩) ويذكر أن القتال والتناحر كان هو السائد في مملكة اسرائيل داخلها تارة، وخارجها مع الأقوام المجاورة والمحيط بها تارة أخرى، حتى جاء الطوفان البشري الكبير بقيادة "شلمناصر" الخامس الآشوري قادما من نينوى، فاجتاح المملكة في آخر سنة من حكمه عام (٧٢٢ ق.م.) واقتحمها عنوة واحتل عاصمتها "السامرة" في عهد آخر ملوكها (هوشع). (زيبب، ٢٠٠٧، ص ١٥٥-١٥٦) هذا الوضع أغرى الممالك الأخرى باستهدافهم واخضاعهم، وتذكر التوراة أن الآشوريين بسطوا سلطانهم في عهد "عزيا"، وبحساب فترات سلطة ملوك اسرائيل، ويرى المؤرخون أن بداية السيطرة الآشورية على جماعات اسرائيل حوالي عام (٧١٢-٧١٣ ق.م.) على طول امتداد الأرض من العراق حتى فلسطين، كلها شمالها وشرقها وجنوبها.. وكان الآشوريون قد أقاموا رجالا اسرائيليين على جماعاتهم التي قد ذابت شخصيتها عقب السيطرة الآشورية. (طعيمه، ١٩٩١، ص ٢٥٥-٢٥٦) وتصف التوراة حال المملكتين في تلك الفترة قائلة: (وأشهد الرب على اسرائيل وعلى يهودا عن يد جميع الأنبياء وكل راء قائلنا ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياي فرائضي حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم والتي أرسلتها لكم عن يد عبيدي الأنبياء). (سفر الأخبار الثاني ١٧: ١٣) وهذا التهديد من الرب لم يكن كافيا لردع اسرائيل وعودتهم الى الطريق الذي يريده لهم، بل تبادوا الى ما هو أبعد في الضلال والعصيان، وهذا ما توثقه أسفارهم، ومنها: (فلم يسمعوا بل صلبوا أقيمتهم كأفنية آباءهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم. ورفضوا فرائضه ووعده الذي قطعه مع آباءهم وشهاداته التي شهد بها عليهم وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم). (سفر أخبار الملوك الثاني ١٧: ١٤-١٥) وازداد بنو اسرائيل ايغالا في التحلل من الشريعة، وتقفي آلهة وطقوس وعبادات وعادات الكنعانيين المجاورين لهم، ففي التوراة: (وتركوا جميع وصايا الرب الههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل. وعبروا بنينهم وبناتهم في النار وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عيني الرب لإغاظته. فغضب الرب جدا على اسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق الا سبط يهودا وحده). (سفر الأخبار الثاني ١٧: ١٦-١٩) ولما مات (شلمناصر الخامس) حرضت مصر اسرائيل على التمرد ضد سلطة الآشوريين، فجاهم (سركون الثاني) وحاصروا صور والسامرة ضاغطا عليها لمدة ثلاث سنوات حتى تمكنت جيوشه من اقتحام السامرة وفتحها، وتقويض مملكة اسرائيل، وتدميرها وسبي من سكانها (٢٨٢٨٠) الى آشور، وهم الأسباط العشرة، فأسكنهم حلاح وكوران ووادي الخابور في الشمال الأقصى لبلاد ما بين النهرين، وفي مدن ميدان. وحلب من بلاد فارس أقواما آخرين ومنهم (الكوتيون Cuthion) الى السامرة، وأسكنهم مكان المسيبيين، وولى عليهم نوابا من قبله، وفرض عليهم الجزية، وأصبحت اسرائيل عام (٧١٢ ق.م.) ولاية آشورية. (لوبون، ٢٠٠٩، ص ٥٩-٦٠) ولها تحولت مملكة اسرائيل بعد احتلالها وتدميرها الى كيان سياسي واجتماعي تابع لحكم الآشوريين. ويقرأ في حوليات العاهل الآشوري "سرجون الثاني" (٧٢٢-٧٠٥ ق.م.) قوله: في بداية حكمي، وفي السنة الأولى منه حاصرت

السامرة، واستوليت عليها، ونقلت من أهلها (٢٧٢٩٠) مواطننا، واستوليت على خمسين عربة من السلاح الملكي، ثم ملأها بسكان أكثر مما كان فيها، فأحلت فيها من بلاد كنت قد استوليت عليها، وعينت حكاما عليها، وفرضت عليها الجندية والضرائب كما يفعل الآشوريون. (مهران، ١٩٩٩، ص ٤٥-٤٦) وتذكر التوراة أن "سرجون الثاني" عمل على تهجير أكثر سكان اسرائيل وبخاصة أكثرهم أهمية كالأغنياء والنبلاء الى حلب وخابور ومادي، واستبدلهم بمجاميع من العرب من قبائل تامودي وايبايددي ومرسيمانو وجبايا، والعرب الذين يعيشون بعيدا في الصحراء. ويقرأ في سفر الملوك الثاني وعزرا قد جاء يقوم كذلك من بابل وكوث (تل ابراهيم على مبعده ٢٤ ميلا الى الشمال الشرقي من بابل)، ومن عوا وحماة وسفروايم. وهما بلدتان على ضفتي الفرات، على مبعده ٢٥,٥ ميلا جنوب بغداد. وأسكنهم في مدن السامرة عوضا عن بني اسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها. (سفر الأخبار الثاني ١٧: ٢٥) وربما كان الآشوريون يهدفون الى كسر التحالفات القديمة، بإدخال أجانب في البلاد، وايا ما كان الأمر، فان الآشوريين قد أعادوا تنظيم مملكة السامرة، على أساس أنها اقليم آشوري، يخضع لامرة آشور، وعززوا الحامية بجنود أتوا بهم من بلاد بعيدة، مما أدى الى تزاوج هؤلاء مع السكان الأصليين، وهجروا تقاليدهم الى حد بعيد، وظهر جنس جديد هم "السامريون" نسبة الى السامرة عاصمتهم، قريب الشبه الى جيرانهم اليهود دما وثقافة، وان اختلفوا معهم في ميولهم السياسية. ويمكن القول أن الغزو الآشوري على مملكة اسرائيل الشمالية قد قضى عليها ودمرها تدميرا نهائيا، ونقل من بقي من أهلها أسرى الى "آشور" (العراق) على يد الامبراطور الآشوري "سرجون الثاني" في عام (٧٢٢ ق.م). وبذلك كانت نهاية مملكة اسرائيل الشمالية. (قدح، بلا، ص ٢٥٧) وعلى اثر ما جرى لاسرائيل يأتي سفر ناحوم متضمنا رؤياه الوعيد لنينوى بالهلاك والثبور مفتحا الاصحاح الثالث بقوله: (ويل لمدينة الدماء. كلها ملأه كذبا وخطفا. لا يزول الافتراس)، ويتبع ذلك مشاهد مرعبة من العذاب الآتي والذي سيحل بها. (سفر ناحوم ٣)

المطلب الثاني سقوط مملكة يهوذا

كما أسلفنا في مقدمة المبحث فان حال مملكة يهوذا كان أفضل من حال اسرائيل في أغلب المجالات، وخصوصا الدينية منها، فقد كانوا أقرب الى الشريعة في حياتهم، وذلك لاستقلالهم الملحوظ عن بقية الأقسام المجاورة، وتماسكهم النسبي كمجتمع له عقائده وعاداته وتقاليده، برغم تبعيتهم السياسية للآشوريين. فعندما احتل الآشوريون مملكة اسرائيل، حافظت مملكة يهوذا على قدر من النظام والكرامة والنفوذ، نحو قرن ونصف قرن من الزمان بعد تلك الأحداث، وذلك بسبب تقلب كبريات دول آسيا، فكان من نتائج سقوط نينوى، تأخير سقوط أورشليم. "الا أن ملوك اليهودية أثاروا غضب نبوخذنصر بمخالفتهم لفرعون مصر، مما دفع ملك بابل القوي للاستيلاء على أورشليم في سنة (٥٨٦ ق.م.) فجعل عاليها سافلها، وهدم هيكلها، وجعل أهلها أسارى، فغدت أورشليم أثرا بعد عين". (لوبون، ٢٠٠٩، ص ٥٩-٦٠) ومن المعلوم أن بختنصر أجلى سكان يهوذا مرتين، ففي المرة الأولى خص بالنفي النخبة المختارة من أبناء أورشليم، الذين أسكنهم في عاصمة ملكه دون قيد أو شرط، ما مكنهم من الاندماج السريع بالوسط البابلي الذي بهرهم سلطانه ورقيه.. مما أتاح لهم التعلم لكي ينهلوا من المعرفة البابلية أسوة بأهل البلاد، وتابعهم في ذلك الذين أجلوا في المرة الأخيرة.. والذين انكبوا بشراسة على الأعمال الزراعية والتجارية. (ناجي، ٢٠٠٧، ص ٩١-٩٢، و سعفان، ١٩٨٨، ص ٩١-٩٢ و سفر الأخبار الثاني ١٦) وعندما أسقط البابليون مملكة يهوذا، كان "صدقيا يواقيم" الذي أقامه الآشوريون حاكما على المملكة، ولم يمض على توليه سوى ثلاثة أشهر فقط، قتله الملك البابلي "نبوخذ نصر"، ونهب مدينة أورشليم "القدس" ودمرها، وسبى من أهلها (٧٠٠٠) أسيرا كما تذكر التوراة، وهو ما يطلق عليه "السبي البابلي الأول" وأخذهم الى "بابل" وأقام على أورشليم واليا من قبل البابليين. وبسقوط أورشليم فقد اليهود كل دعوى بوجود مجتمع اسرائيلي له كيان مستقل، محدد باطار اجتماعي له دولة تحكمه ودين ينتمي اليه، بعد السبي وخلال ذلك تحلل اليهود من الارتباط بشيء كان يدعيه الأول من الآباء، ويتعصبون له، ولم تعد تربطهم به أدنى علاقة من دين أو تاريخ، حيث كانت تأتي أجيال السبي في شكل خليط متناقض يرفض أن يحمل آلام الأجيال، بل كانت تأتي رافضة كل ما يربطها بالماضي مؤجلة الخلاص، بمعنى أنهم كانوا بلا انتماء ولا ولاء يربطهم بالماضي، وهذا ما جعلهم ينحازون الى سلطة الفرس الذين كانوا يرومون اسقاط مملكة بابل، وذلك عندما استغل اليهود الفرصة ليتعاونوا معهم من أجل السيطرة على بابل من خلال أدوات اللصوصية والوشاية ونقل الأخبار والمواقف، وعندما انتهت المعركة لصالح الفرس قدموا للملك الفارسي واحدة من نسائهم لكي يتسللوا الى ايوان الحكم ومصدر القرار. (طعيمه، ١٩٩١، ص ٢٥٨-٢٥٩، و لوبون، ٢٠٠٩، ص ٦٠، و قدح، بلا، ص ٢٥٧)

ومما ساعد البابليين في اسقاط مملكة يهوذا هو انقسام أهلها بين فريقين:

أحدهما: يتزعمه "حننيا" الذي كان يعلن أن قبضة البابليين يجب أن تنكسر.

وثانيهما: يتزعمه النبي "ارميا" ويعلن أن "نبوخذ نصر" هو "خادم يهوه" وأن القبضة حديدية ولن تتمزق.

وهنا سؤال يطرح: لماذا يبحر النبي ارميا الى نبوخذنصر ويصفه بأوصاف البأس والقوة عند مواجهة قومه؟ ومن يعين النظر في صراع أنبياء بني اسرائيل مع قومهم يعرف أن موقف ارميا كان نتيجة لاحتباطه من عودتهم الى شريعة الرب والتقيد بموجب تعاليمها، فكان قد تنبأ بعقاب الرب لهم على يد نبوخذنصر باعتباره مسلط عليهم لمعاقتهم، وأنه سيكون صارما ذو بأس شديد عليهم. (ويذكر أن النبي "ارميا" كان من أشد الناس حقدا على قومه، يدافع عن بابل، ويعلن في الملأ أنها سوط عذاب في يد الرب. ويتهم حكام يهوذا بأنهم بلهاء معاندون، وينصحهم بأن يسلموا أمرهم كله الى "نبوخذ نصر"). (مهران، ١٩٩٩، ص ٨٨٩-٨٩٠، و قدح، بلا، ص ٢٥٧) فقال لهما "ارميا": (هكذا تقولان لصدقيا هكذا قال الرب اله اسرائيل هأنذا أرد أدوات الحرب التي بيدكم التي انتم محاربون بها ملك بابل والكلدانيين الذين يحاصرونكم خارج السور وأجمعهم في وسط هذه المدينة. وأنا أحاربكم بيد ممدودة وبذراع شديدة وبغضب وحمو وغيض عظيم. وأضرب سكان هذه المدينة الناس والبهائم معا. بوباء عظيم يموتون). (سفر ارميا ٢١: ٢-٦) ان القاريء والسامع لهذا التهديد والوعيد ليفزع من هولته وما سيحدث بسبب غضب الرب، ووعيده واقع لا محالة الا أنه لم يكن كافيا لمراجعة الذات والاقتراب من منهج الرب وشريعته، فكان نتيجة ذلك التماذي أن تحققت الوعود بالهلاك. فسفر ارميا يذكر ما سيحل بملك يهوذا وشعب مملكته من ألوان الوباء والجوع وبأس نبوخذنصر القادم لمحاربتهم واخضاعهم لسلطانه، وما سيحصل لهم عند مواجهته من قتل وتشريد واستعباد، ويرسم لهم طريقين لا بد من اختيار احدهما: أولهما: البقاء في اورشليم وستكون عاقبته الهلاك اما موتا بالسيف أو بسبب الجوع والوباء، وثانيهما: الخروج مع الكلدانيين ومعناه الخلاص والحياة الطيبة. (سفر ارميا ٢١: ٣-١٠) وبسقوط مملكة يهوذا اقتلعت الجماعات اليهودية من أرض فلسطين بأسباطها الاثني عشر وسيقت أسيرة ذليلة تقاسمتها سلطتي مملكتي آشور وبابل، ثم تفرقت وتلاشت في الأرض في انحاء العالم المعروف آنذاك، وانتهت فصول زمن تسلل فيه ذلك الكيان الدخيل وانغرس في أرض فلسطين بعد أن اقتلع السكان الأصليين من وطنهم. (زيبب، ٢٠٠٧، ص ١٦٦) وخلال الأسر عاش بنو اسرائيل في بابل حياة كريمة، والبابليون استثمروا ما لديهم من امكانيات ومهارات، وخصوصا في الزراعة، اذ اقتطعوا لهم من خيرة أراضيهم، كونهم كانوا أصحاب خبرة بالزراعة وفنونها نتيجة استقرارهم، على عكس سكان اسرائيل الذين كانوا أقرب الى البداوة فامتحنوا الرعي وتربية المواشي، ومع كل هذا الواقع المريح لهم الا أن حالة الانكسار استمكنت في نفوسهم ولم تفارقهم، فجعلتهم يلوذون بالأمان في مستقبل لهم أفضل مما هم عليه. وقد خلد أحد شعرائهم صورة من حالهم في ظل الأسر بأغنية تقول:

على أنهار بابل جلسنا وبكىنا على ذكرى صهيون

وفي وسط الصفصاف علقنا أعوادنا

لأن من سبونا طلبوا الينا أن نغنيهم

والذين عذبونا أرادوا أن نظربهم، ونادونا

هلا أنشدتمونا أحد أناشيد صهيون!

وهل نستطيع أن ننشد نشيد الله في بلد غريب؟

لئن نسيتك يا اورشليم فلتنس يميني حذقها

وليلتصق لساني بسقف حلقي ان لم أذكرك ان لم أفضل اورشليم على أعظم فرحي.

اذكر يا رب لبني أدم يوم اورشليم القائلين هدا حتى الى أساسها. يا بنت بابل المخربة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا. طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة. (سفر المزمير ١٣٧) ويعلل التلمود ما نزل باليهود بقوله: "عندما بلغت ذنوب بني اسرائيل مبلغها، وفاقت حدود ما يطبقه الاله العظيم، وعندما رفضوا أن ينصتوا لكلمات وتحذيرات "ارميا" - فما أعظم ذنوب اسرائيل التي أغاضت الرب - الذي وجه القول الى نبوخذنصر قائلاً: "(لا تظن أنك بقوتك وحذك استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار، انها ذنوبهم الفاجرة التي ساقتهم الى هذا العذاب). (ناجي، ٢٠٠٧، ص ٩١-٩٢) وأشارت بعض النصوص الى أن عددا من أنبياء اليهود قد تنبأ بهذه الأحداث، فقد قال اشعيا لآحاز كما ورد في سفره: (ويكون في ذلك اليوم أن الرب يصفر للذباب الذي في أقصى ترع مصر وللنحل الذي في أرض آشور فتأتي وتحل جميعها في الأودية الخربة وفي شقوق الصخور وفي كل غاب الشوك وفي كل المراعي). (سفر اشعيا ٧: ١٨) ففي تحذير اشعيا هذا تجيبش لأكبر قدر من قوى الرب وجنوده، بحيث استدعى فيها الحشرات لتشارك في انزال العذاب بأقصى صورته.

ويقول أيضا لحزقيا: (اسمع قول رب الجنود. هوذا تأتي أيام يحمل فيها كل ما في بيتك وما خزنه أبأوك الى هذا اليوم الى بابل، لا يترك شيء يقول الرب، ومن بنيك الذين يخرجون منك الذين تلهم يأخذون فيكونون خصيانا في قصر ملك بابل). (سفر اشعيا ٣٩: ٤-٧) ويشير

كثير من أسفار العهد القديم الى تلك الأحداث التي مرت بها يهوذا في عهد "نبوخذنصر" ومنها ما ورد في سفر المزمير: (اللهم ان الأمم قد دخلوا ميراثك. نجسوا هيكل قدسك دفعوا جثث عبيدك طعاما لطيور السماء لحم أنقيائك لوحوش الأرض. سفكوا دمهم كالماء حول أورشليم وليس من يدفن. صرنا عارا عند جيراننا هزاء وسخرة للذين حولنا. الى متى يا رب تغضب كل الغضب وتتقد كالنار غيرتك). (سفر المزمير ٧٩) وورد ايضا في سفر الأخبار الثاني الاصحاح (٣٦) الفقرة (١٧): (سعد نبوخذنصر ملك بابل الى أورشليم وسبى الذين بقوا الى بابل، كما وورد وصف هذه الأحداث في عدد كبير من الأسفار، مثل سفري اشعيا وحزقيال الأسفار (١٧ و ٢٩)، وسفر ارميا الاصحاح (٣٠ و ٥٢)، وسفر الملوك الثاني الاصحاح (٢٥). وبذلك انتهى فصل تاريخي مهم في حياة ممالك بني اسرائيل القديمة (اسرائيل ويهوذا)، وما جرى لهم على أيدي ممالك بلاد الرافدين القديمة (آشور وبابل)، كان من نتائجه الاستيلاء والهيمنة المطلقة التي أدت الى انهيار ممالك بني اسرائيل، ويذكر المؤرخون أن مملكة اسرائيل انتهت الى الأبد، ولم يبق لها أثر تاريخي، لأن أسراهم لم يعودوا ثانية بسبب تمازجهم وذوبانهم في الأمم الأخرى التي استوطنوا معها، بينما حال مملكة يهوذا كان مغايرا لأنهم عادوا بعد خمسين سنة من الأسر بعد سقوط بابل على أيدي الفرس بقيادة كورش، الذي سمح لسكان يهوذا بالعودة اليها بعد أن أعاد اليهم كنوزهم التي غنمها البابليون.

المبحث الثاني ظهور التيار الأصولي اليميني في أمريكا وعلاقته باليهود والصهيونية

تمتد ظاهرة الاختراق الديني الى زمن موغل في القدم، ولم تتج منه أمة أو ديانة على الأقل في اطار الفكري الديني السماوي . اليهودية، المسيحية، الاسلام .، وفيما يخص قضية الاختراق اليهودي للفكر المسيحي، ومحاولة تسخيريه من أجل تحقيق أهداف يعجز اليهود من تحقيقها بمفردهم . ان مظهر الاختراق اليهودي للمسيحية يتمثل بتلك العلاقة المميزة بين اليهود من جهة والتيار الأصولي المسيحي، والمتابع يرى حالة من الحميمية في العلاقة وصلت الى حالة ارتماع أتباع هذا التيار في حضان الصهيونية، وأصبح أتباعه قائمين على تحقيق أهداف الصهيونية ربما بأكثر من حرص الصهاينة أنفسهم. وهنا لا بد من معرفة جذور هذا التيار وطبيعة العلاقة بينه وبين اليهود.

المطلب الأول مفهوم الأصولية وأهم أفكار الأصولية اليمينية المسيحية في أمريكا

مفهوم الأصولية: الأصولية لا يوجد لها ذكر في المعاجم العربية، وما يوجد هو جذرها اللغوي (أصل)، والنسبة اليه (أصولي). قال الرازي في مختار الصحاح: "الأصل: واحد (الأصول)، ورجل أصيل: أي محكم الرأي، و (الأصل) الحسب والفصل اللسان". (الرازي، ١٩٩٩، ص ١٩) وقال ابن منظور في (لسان العرب): "الأصل: أسفل كل شيء، وجمعه: أصول، وأصل الشيء: صار ذا أصل، وأصل الشيء: قتله علما، فعرف أصله". (ابن منظور، ١٤٢٤هـ، كلمة "أصل") "وقد جاءت كذلك في الكتاب المقدس في سبعة وخمسين موضعا". (بوست، ٢٠٠٠، ٢٢-٢٣) منها ما ورد في انجيل متى: (والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر). (انجيل متى ٣: ١٠) **والأصولي:** هو (ايفانجيليكي) غاضب من شيء ما، أو: أن الأصولي الأمريكي هو الايفانجيليكي (المقاتل . Militant) في مواجهة علم اللاهوت الليبرالي في الكنائس، أو ضد التغيرات في القيم الثقافية والأعراف، فالأصوليون هم نوع فرعي من الايفانجيليكي، (القتال . Militancy) جوهرى لديهم، ليس الأصوليون مجرد محافظين دينيين فحسب، ولكنهم محافظون على استعداد واردة لا تخاف موقف وللقاتل. ولقد ضنت المحافظين من المحاربين من بين المعمدانين، والمشيخيين، والمنهجيين، وحواريي المسيح، والأسقفيين، وجماعة القداسة، والخمسينيين، والعديد من الطوائف البروتستانتية الأخرى. (مارسدن، ٢٠٠٠، ص ١١-١٣) وكلمة (ايفانجيليكي) من الكلمة اليونانية (Evangel) التي تعني (الانجيل) وفي الواقع هو الاسم البريطاني والأمريكي الشائع الذي يطلق على الحركات الاحيائية التي تتمدد وتتحرر بطول وعرض مناطق الحديث باللغة الانكليزية، ومناطق أخرى خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر. الايمان بالخالص الأبدي على يد المسيح من خلال موته على الصليب، يمثل المحور في الانجيل الايفانجيليك، حيث كانت البروتستانتية هي الدين في الولايات المتحدة حتى منتصف القرن التاسع عشر، فقد صاغت الايفانجيليكية أسلوب الدين الأمريكي. (مارسدن، ٢٠٠٠، ص ١١)

الأصولية اصطلاحاً: (هي حركة بروتستانتية ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي، بعد مؤتمر نياجرا عام ١٨٩٥م) لتحيي من جديد أفكار أصحاب عقيدة المجيء الثاني للمسيح حقيقيا لا حرفيا). (الجهني، ١٤٢٠هـ، م ٢، ص ٦٢٦)

وتعني الأصولية بالإنجليزية (Fundamentalism) (١). مذهب العصمة الفردية: وهي حركة عرفتها البروتستانتية في القرن العشرين، تؤكد على عصمة الكتاب المقدس عن الخطأ. ب. الايمان بهذا المذهب. (٢) الأصولية: أي حركة تشدد على الالتزام الدقيق والحرفي بمبادئ مذهب أو أصوله. (Fundamentalist) أصولي، متعصب، متشدد، مترتم (بعلبيكي، بلا، ص ٤٧٤) ويرى المسيري في تعريفه للأصولية الانجيلية: أنها دعوة انتشرت في بعض الأوساط البروتستانتية المتطرفة، لإعادة اليهود الى فلسطين، وتستند الى العقيدة (الألفية الاسترجاعية)

المتطرفة، التي ترى أن العودة شرط لتحقيق الخلاص، وهي تضم داخل هذا المركب الغريب، من حب اليهود الذي هو في واقع الأمر كره عميق لهم . تماما . مثل الصيغة الصهيونية الأساسية: "شعب عضوي نافع ينقل خارج أوربا ليوظف لمصالحها". (المسيري، بلا، ص ٣٠٦) وينظر "يان لوستك" الى الأصولية من خلال أبعادها الثلاثة المركبة (الديني والسياسي والاجتماعي) في كتابه (الأصولية اليهودية) فيقول: "الأصولية كلمة أشيع استعمالها ولكنها لا تستعمل هنا للدلالة على المبالغة في التدين، ولا للإيمان بصورة التعصب أو أساليب التفكير الساذجة، بل لتركز الانتباه على نوع معين من دروب السياسة وهي الرؤية التي تتخذ من الأصل دينيا أم سياسيا أم اجتماعيا مرجعا أساسها لها، ولربما كانت الصهيونية العالمية صانعة المفاهيم الغريبة والمكتسبة تكون خلف هذا المفهوم". (لوستك، بلا، ص ٩) وعرفت الأصولية الانجيلية باعتبارها حركة عرفتها الطائفة البروتستانتية، وتطلق أيضا على الاتجاهات الدينية المتشددة في كل ما يتعلق بالتاريخ والغيبيات، ومنها المجيء الثاني للمسيح عليه السلام. ومن معتقد هذا التيار الايمان بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، والمتضمن توجيهات لمجمل الحياة، بما في ذلك الشؤون السياسية، وبخاصة النبوءات التي تشير الى أحداث مستقبلية، تقود الى توطين اليهود تمهيدا للعودة الثانية. (المعلم، ٢٠٠٤، ص ٩٢، و الشقري، ٢٠١٦، ص ١٦٩) وتعني أيضا: "مجموعة من المعتقدات الصهيونية المنتشرة بين المسيحيين، وبخاصة أتباع قيادات وأتباع الكنائس البروتستانتية التي تعد قيام الدولة اليهودية حقا تاريخيا ودينيا مقدسا لليهود، وذلك باعتبار أن عودة اليهود الى الأرض الموعودة، هي برهان على صدق التوراة، وعلى اكتمال الزمان". (المعلم، ٢٠٠٤، ص ١٢) واستخدم مصطلح الأصولية الانجيلية في القرن العشرين ليشير الى مذهب العصمة الحرفية، واشتهر اعلاميا بأسماء منها "الحرفيون" أو "التدبيريون" وذلك لاعتقادهم أن كل ما تقوم به اسرائيل هو عمل قدر الرب فعله، وأنهم قاموا به دون أن تدري هي أنها تنفذ ارادة الرب، لذا يعتقد الانجيليون في وجوب دعم كل ما تقوم به اسرائيل، لأنه تطبيق لمشيئة الخالق. ويعتمد الانجيليون على التوراة المحرفة، وكذلك ما كتب حولها، كالتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون، والرؤى والمبالاة، ومما احتوته هو ادعاء الوعد الالهي (بأرض الميعاد) وحدودها (من النيل الى الفرات)، والهدف الحقيقي هو السيادة على كل العالم. وبذلك استطاعت الصهيونية بمنظوماتها اقناع العالم المسيحي في العصر الحديث بدعاؤها، فكانت أوروبا والولايات المتحدة والتابعة لها مأوى للفكر الصهيوني. (الشقري، ٢٠١٦، ص ١٧٠-١٧٢)

أهم أفكار الأصولية اليمينية المسيحية: يعتقد الأصوليون من قادة اليمين المسيحي الجديد أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح بعد مرحلة من الحروب النووية العالمية، أو الكوارث الطبيعية، والانهيار الاقتصادي، والفوضى الاجتماعية. كما يعتقدون أن هذه الأحداث يجب أن تقع قبل العودة الثانية.. وأنها مسجلة بوضوح في الكتاب المقدس. وان المسيحيين المخلصين سوف يرفعون ماديا من فوق الأرض ويجتمعون بالمسيح في الفضاء، وسوف يراقبون بسلام الحرب النووية والمشاكل الاقتصادية. وفي نهاية المحنة سيعود هؤلاء المولودون ثانية مع المسيح كقائد عسكري لخوض معركة هرمجيدون، ولتدمير أعداء الله، ومن ثم ليحكموا الأرض لمدة ألف سنة...ومن خلال ذلك يتبين أن الانجيلية الصهيونية لا تقتصر على مجرد تفسيرات معينة لمفاهيم دينية محددة، ولكنها تحاول أن تصنع المستقبل وفقا لهذه التفسيرات وعلى قاعدتها. (هالسل، ٢٠٠٣، ص ٧) وبخصوص نشأة الأصولية الانجيلية فيمكن ارجاعها الى: أن اليهود نجحوا في التسلل الى دوائر الكهنوت المسيحي، واستطاعوا ادخال العقائد الخاصة بإسرائيل، واحتلال القدس، واقامة هيكل سليمان في صلب الايمان المسيحي البروتستانتي، فيما يرى البعض الآخر أن دهاة الساسة الأوربيين المعادين للسامية والكارهين لليهود هم الذين أنشأوا هذا التيار لضمان تأييد مسيحي واسع، بحيث يجعل اليهود يفكرون في قيام وطن لهم في فلسطين لتحقيق غايتين:

الأولى: التخلص من الوجود اليهودي في أوربا.

الثانية: التآمر ضد العرب المسلمين، واستخدام اليهود كقوة ضاربة لهم بال مباشر، على أساس وجود صراع حضاري دائم بين الحضارة الأوربية والحضارة الاسلامية. (الشقري، ٢٠١٦، ص ١٧٠-١٧٢) ويعزي كثير من علماء اللاهوت الكتابي انحياز المذهب البروتستانتي لليهود الى زمن ظهور هذا المذهب في القرن السادس عشر الميلادي على يد مارتن لوتر، واستطاع أن يقلب الأمور رأسا على عقب اتجاه اليهود عما كان سائدا لدى الأرثوذكس والكاثوليك". (الطويل، ٢٠١٤، ص ٤٥) ولم يقف تأثير أفكار لوتر في الفكر المسيحي عند هذا الحد، بل انه انساق الى الرؤية التوراتية القائلة بأقلية اسرائيل على بقية الأمم، وعودتهم الى أرض الميعاد. فمن أهم التغيرات اللاهوتية التي جاء بها المذهب البروتستانتي هو الترويج لأمة مفضلة، والتأكيد على ضرورة عودتهم الى فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر، وبزوغ فجر العصر الألفي السعيد، وكان من أهم الأسباب التي أدت الى حدوث هذه التغييرات هو ما دعا اليه لوتر من وجوب اقامة الحقيقة الدينية على الفهم الشخصي دون الرجوع لفهم رجال الدين لها.. فأصبح كل بروتستانتي حر في دراسة الكتاب المقدس وتفسيره بشكل فردي، وهذا

ما فتح الباب أمام أصحاب البدع والأضاليل، مما أدى الى تعدد الفرق البروتستانتية حتى وصل عددها الى أكثر من ٢٠٠ فرقة في مذهب لم يتعد وجوده أكثر من أربعة قرون. (الطويل، ٢٠١٤، ص٤٥) وهناك من يرى أن ظهور الأصولية الانجيلية على يد رجال الكنيسة البروتستانتية، ثم تبعهم رجال السياسة البريطانيين والأوربيين، الذين دعوا أو تبنوا فكرة عودة اليهود. وقد ساعد ترشيح جيمي كارتر لرئاسة أمريكا وفوزه بها عام (١٩٧٦م) على احتلال المسيحية المحافظة مركز الصدارة في الوعي الشعبي. (الشريف، ١٩٨٥، ص٢٧٤) ولم يكن كارتر هو الوحيد الذي حمل آلام اسرائيل وطموحها في كسب كبار الساسة لدعمهم وضمان انحيازهم، من أجل وترسيخ وجودهم في فلسطين، ومما قاله كارتر أمام الكنيست الاسرائيلي في عام (١٩٧٩م): "لقد آمن سبعة من رؤساء للجمهورية أن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة. لقد كانت ولا زالت علاقة فريدة لا يمكن تقويضها، لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكي... اننا نتفاسم معا ميراث التوراة". (الشريف، ١٩٨٥، ص٢٧٤) لقد كانت خلفيته البروتستانتية وآراؤه الدينية مرتبطة بسياسته اتجاه الشرق الأوسط، وكان يرى كرئيس، أن دولة اسرائيل هي أولاً وقبل كل شيء "عودة الى الأرض التوراتية التي أخرج منها اليهود منذ مئات السنين.. ان انشاء دولة اسرائيل هو انجاز النبوءات التوراتية وجوهرها. (المعلم، ٢٠٠٤، ص١٦) لقد نجحت الصهيونية في خلق ودعم وترسيخ هذا التيار في أمريكا، وأغرت كبار الشخصيات السياسية البارزة في الحزبين - الديمقراطي والجمهوري - بالانضمام اليه، ودعمهم للوصول الى أعلى المناصب، ابتداءً من رئاسة أمريكا نازلاً الى بقية المناصب المرموقة في كيان السياسة والادارة للحكومة الأمريكية، ولذلك اكتفت اسرائيل بالاشارة والايحاء لأمريكا لتحقيق ما تريده، لتتسابق الدوائر الرسمية الأمريكية بمختلف مستوياتها لتلبية طلبات ورغبات اسرائيل والصهيونية، ومن المثير للاستغراب هو ارتماء هؤلاء الساسة الأمريكان في احضان الصهيونية الى حد تقديم مصلحة اسرائيل على مصالح بلادهم أمريكا.

المطلب الثاني طبيعة العلاقة بين اليهود والصهيونية من جهة والتيار الأصولي اليميني المسيحي

ان الناظر في العهد الجديد سيدجد العلاقة بين اليهود من جهة والمسيح عليه السلام واتباعه من جهة أخرى على طرفي نقيض، فالفريسيين والصدوقيين خاضوا مواجهة ضارية في مواجهة دعوة المسيح عليه السلام من جهة أخرى، ولم تنته تلك المواجهة الا بالتخلص من المسيح عليه السلام وتأليب الحاكم الروماني عليه ليوقع به أقسى عقاب، ولكن الدهاء والمكر اليهودي المعاصر استطاع ان يتخطى كل تلك العقبات التي لا يمكن للزمن تجاوزها، فاتجهوا الى أسلوب الاغراء بالمال واستغلالهم الاعلام العالمي الذي يسيطرون عليه، فاستطاعوا استمالة الباحثين عن مواقع السلطة وعالي المناصب لكي يقفوا في شباكهم ومصائدهم التي نصبوها لهم، ومن خلال التيار البروتستانتية وأفكاره المتحررة دينياً انسلت الصهيونية لتؤسس تيارات موالية لها، ومنها التيار الأصولي اليميني المسيحي، والذي يتمسك عقائدياً بالتوراة أكثر من الانجيل، مما اعتبره مفكرو المسيحية اختراقاً يهودياً لها. يذكر القس اكرام لمعي في كتابه (الاختراق اليهودي للمسيحية): أن هذا الاختراق قد أصبح واضحاً مؤخراً في ظل الحركة الصهيونية ونشاطها، ويراد منه تبني المسيحيين في أوروبا وأمريكا فكرة وجود دولة اسرائيل الحديثة، على أساس أنها تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس، باعتبار أن تحقيق هذا الهدف سيؤدي الى قرب عودة المسيح الى الأرض ثانية، وقد حدث هذا الاختراق بذكاء شديد لكي تتبنى الكنيسة فكرة الدولة الصهيونية، والمرفوضة تماماً من الكتاب المقدس. لأن ذلك سيؤدي الى تحويل المسيحية من ديانة مستقلة الى طائفة يهودية، ظهرت كأحد الطوائف اليهودية القديمة، تعود الى الدين الأصلي في نهاية التاريخ. مع وجود اشكالية تجعل اليهود شعباً مقبولاً من قبل الله، بالرغم من رفضهم للمسيح ورسالته. ويرى القس لمعي أن هذا الفكر ضد كل التعاليم المسيحية التي تؤكد على أن الباب سيعلق ولن يقبل أحد بعد المجيء الثاني للمسيح. (لمعي، ١٩٩٣، ص١٣-١٤) توطدت تلك العلاقة وقوت وأصرها، ولاقى التيار الأصولي احتضان اليهود والصهيونية له، وتركيز الجهود على تسخيرها لصالح قضاياهم ومشروعهم في الاستيطان على أرض فلسطين والهيمنة على مقدرات شعبه. "تعتبر مسألة "المجيء الثاني للمسيح" من الأركان الأساسية للإيمان المسيحي، ومن أهم موضوعات الانجيل، ولا يخلو سفر من أسفاره من الحديث عن المجيء الثاني للمسيح (العودة)، وكل مسيحيي العالم تقريباً يؤمنون بهذه المسألة، الا أن الاختلاف في كيفية وتفصيل هذا المجيء". (الحسن، ٢٠٠٢، ص٥٨) فضضية عودة المسيح أمر مفروغ منه عقائدياً لدى المسيحيين، لكن الملفت للنظر أن الصهيونية وبدانها استطاعت استثمار تلك العقيدة لأنها تتناغم من حيث الشكل مع المجيء بحسب المفهوم اليهودي. فقد نجحت الصهيونية في اقناع بعض المسيحيين بأن انشاء "اسرائيل" هي علامة من علامات المجيء الثاني، وأن عودة المسيح سوف تكون بصورة عنيفة وقوية، ليقف مع اسرائيل في مواجهة مع "قوى الشر" في العالم، التي يهزمها في موقعة قوية وقاسية، وبعد الانتصار على هذه القوى الشريرة يقوم المسيح بحكم العالم لمدة ألف عام. (الحسن، ٢٠٠٢، ص٥٨) وفي عام (١٩٨٨م) في شهر (أبريل) عقد مؤتمر له طابع

خاص في اسرائيل تحت عنوان (المؤتمر المسيحي الصهيوني الدولي)، وقام اسحق شامير رئيس وزراء اسرائيل بإلقاء كلمة الافتتاح، وفي كلمته التي اتسمت بالعاطفة والحماس، أكد شامير بكل وضوح استمراره في تثبيت أركان الدولة الصهيونية، ومقاومة الفلسطينيين بكل الوسائل. وفي نهاية كلمته وقف كل المستمعين لتحتيته، وذلك حين دعاهم لأن يدعو كل مسيحيي العالم لتعضيد دولة اسرائيل. (لمعي، ١٩٩٩، ص ١٣٥) لقد ركزت الصهيونية على أهم رابط بينها وبين الأصوليين الجدد وهو قضية مجيء المسيح الى الأرض، فكما ينتظر اليهود ظهور ومجيء المسيح، كذلك ينتظر الأصوليون عودة المسيح ثانية الى الأرض، وما يسمى عندهم بالمجيء الثاني للمسيح. لذلك تحاول الصهيونية ربط المسيحيين بمشروعها في ابتلاع فلسطين واستعباد سكانها من غيرهم، وذلك من خلال التبشير عن الملك الأفني للمسيح، الذي سيأتي ويملك حرفيا مع اليهود لمدة ألف عام، وغايتهم هي خلق حركة عالمية لتعضيد دولة اسرائيل الحالية.. وعلامة انهاء زمن الأمم، وهي عودة اليهود الى فلسطين، وتأسيس دولة اسرائيل، ولذلك فمستقبل المسيحيين في العالم يتحدد بتعضيد اسرائيل ماديا، لتثبت وجودها، وتحقق ارادة الله بمنتهى الأمان، ويعود المسيح ثانية. والمشكلة في عودة المسيح التي يسمونها بعودة المسيا، والمسيا له وجهان مختلفان بينهما، فبحسب التفسير المسيحي يعني (رسول السلام والحب لكل العالم)، أما التفسير اليهودي (المسيا العسكري الذي يحرر اليهود). أما فكرة حكم المسيح للعالم حكما حرفيا لألف عام من اورشليم، فهي فكرة لا سند حقيقي لها من الكتاب المقدس، وكل ما يعتمد عليه فيها بعض الآيات التي تفسر بطريقة خاطئة ومغرضة. (لمعي، ١٩٩٩، ص ١٣-١٤) ان التأييد السياسي والدعم العسكري والاقتصادي لإسرائيل غير ممكن أن يكون نتيجة لتأثير اللوبي الصهيوني في أمريكا فقط، وإنما يمثل عمق الشراكة الدينية بين اليمين المسيحي والكيان الاسرائيلي.. وحقيقة الأمر أن ما يجمع هؤلاء في نسيج واحد هو البعد الديني التوراتي. المشترك، يقول برتراند رابش في كتابه (الولايات المتحدة واسرائيل): "الواقع أن التراث الديني في الولايات المتحدة وخاصة لدى المسيحيين، يساعد كثيرا على كسب التعاطف العام مع أرض اسرائيل، باعتبارهم الذين تحققت على أيديهم نبوءة (التوراة)". (علي، ٢٠٠٤، ص ٥٨) والملاحظ أن الانحياز لهذا التعاطف قد تبناه ساسة بارزون في تاريخ امريكا واداراتها، ومنهم زيجينو بريجنسكي منظر السياسة الأمريكية، والسيناتور "روجو جيسون"، وهؤلاء يصرحون بالولاء المطلق لاسرائيل وربط مصير الولايات المتحدة بها. والدفاع عنها وعن وجودها بشكل مطلق. ويذهب جيرى فالويل الى ما هو أبعد قائلا: "ان من يؤمن بالكتاب المقدس يجد بأن المسيحية ودولة اسرائيل مرتبعتان دون انفصام". وجيرى فالويل هو صديق شخصي لمناحيم بيغن واسحق شامير وقد وصفته مجلة (الايكونومست) اللندنية في الثمانينات بأنه آية الله للبعث المسيحي، وقد أسس في ذلك الوقت جماعة العمل السياسي الأصولية الدينية. (علي، ٢٠٠٤، ص ٥٧-٥٩) كل هذا الزخم من توطيد العلاقة بين الطرفين أدى الى ارتقاء قادة أمريكا من الأصوليين الجدد في أحضان الصهيونية، واستعدادهم التام لخدمة مشروعها من غير مراعاة لانعكاس مواقفهم تلك سلبيا على مصالح الولايات المتحدة وشعبها. وقد سيطر البعد التوراتي على الذهنية الأمريكية بشكل ملفت للنظر، واقترب من قمة صناعة القرار الأمريكي ممثلا في عدد كبير من رؤساء الولايات المتحدة.. ولم يكن جورج بوش الابن هو بداية العمل وفقا للأصولية الانجيلية والمفاهيم التوراتية، بل أن هناك قائمة لبعض رؤساء الولايات المتحدة الذين مارسوا هذا الدور، وربما تبدأ القائمة بالرئيس جيفرسون مروراً بالرئيس هاريسون وكذلك ويلسون الذي كان بروتسانتيا انجيليا يؤمن بالتوراة التي ربطت اليهود بالأرض المقدسة. (علي، ٢٠٠٤، ص ٣٥-٣٦) لقد تمكنت (الحركة الصهيونية النصرانية) وأصبح لها دور فعال في بلورة القرار السياسي الأمريكي بعد (١١ سبتمبر) بقيادة الرئيس بوش الابن، وتبدو الترجمة السياسية للنوابت العقديّة تؤمن بها هذه الحركة من خلال الأمور التالية:

١. أن الايمان بأن اليهود هم (شعب الله المختار) يعني وجوب الالتزام بدعم (اسرائيل) ومساعدتها لاعتبار ذلك ليس عملا سياسيا فقط انما هو واجب ديني.
٢. الايمان بأن الله منح الشعب اليهودي الأرض المقدسة (فلسطين) ومساعدتهم على اقامة المستوطنات، وعلى تهويد الضفة الغربية.
٣. الايمان بأن (القدس) هي جزء من الأرض الموعودة للشعب اليهودي.. والحصول على اعترافات عالمية بضم القدس، وتهويدها باعتبارها عاصمة أبدية لإسرائيل.
٤. الايمان بأن من شروط العودة الثانية للمسيح بناء الهيكل، مما يعني تمويل مشروع بنائه، ويعني قبل ذلك ازالة العقبات التي تحول دون بنائه، وفي مقدمتها وجود المسجد الأقصى في الموقع الذي يجب أن يقوم عليه الهيكل. (السماك، ٢٠٠٣، ص ١٨٨-١٨٩)

استطاعت المنظمة اليهودية العالمية (آيباك IPAC) أن تكون شبكة هائلة من الاتصالات بالنظام السياسي الأمريكي، واقتحم اعضاؤها عالم السياسة، ونجح بعضهم في التسلل الى المواقع القيادية من خلال المجالس التشريعية.. وتضاعفت ميزانية المنظمة كثيرا، وعملت آيباك مع الجهات التنفيذية الأمريكية داخل الوزارات مباشرة، وسعت لكي تكون:

• ذات قاعدة جماهيرية، بحيث تكون خسارة أو كسب الأصوات في قاعدتها وليس في واشنطن.

• أن تكون أكثر اتصالا وتأثيرا على عملية صنع القرار السياسي.

• أن تكون أكثر تعبيراً عن اليهود. (الحارتي، بلا، ص ٢٩٦)

وقد نجحت في جذب اهتمام الرؤساء الأمريكيين بالمصالح الصهيونية، ونمو السيطرة عليهم منذ عصر الرئيس جون كينيدي (١٩٦٣-١٩٦١م) الذي قال: "أعلم جيدا أنني انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين، وأنا مدين لهم بانتخابي، فقل لي ما الذي يجب أن أفعله من أجل الشعب اليهودي؟"، مروراً ببقية الرؤساء الأمريكان وصولاً الى عهد بوش الصغير، الذي أصبح رئيس أكبر دولة في العالم وكأنه المتحدث الرسمي باسم اسرائيل والصهاينة، وكان أفراد حكومته الذين كانوا ما بين صهيوني أو مسيطر عليه من قبل الصهاينة، لذلك كانوا مدافعين عن جرائم اسرائيل، المروجين لما يسمى بحرب الارهاب الدولي الذي وصفوه بما يتناسب مع أهوائهم وتوجهاتهم. (الحارتي، بلا، ص ٣١٧) كان من الطبيعي لدى تبني التوراة كمرجعية تحرك خطتهم وتساند رؤاهم.. ونفس تلك النظرة التي تعلي من أهمية النصوص المقدسة في العهد القديم نجدها عند أكثر التيار المسيحي الذي ينتمي معظمه الى البروتستانت، بل والتي تعلي من اليهود أنفسهم على أنهم مختارون ومميزون. (علي، ٢٠٠٤، ص ١٠٧) ان التساؤل عن التحيز الأمريكي لإسرائيل، وثبات ذلك الموقف، بالرغم من كثير من الاحراج التي تقع فيه أمريكا بسبب التصرفات الصهيونية اتجاه الفلسطينيين، وكذلك وجودهم ككيان من وجهة نظر الدول العربية دخيلاً على أرضهم، ووجوده أصبح يشكل عائقاً كبيراً في التنمية والاستقرار، وكذلك تضرر المصالح الأمريكية جراء هذا الموقف، مقارنة بما يشكله دعم الكيان الاسرائيلي من عبء على الميزانية الأمريكية، مقارنة بما لو كان العكس فيما لو اصطفت أمريكا بناءً على تلك المصالح مع الدول العربية. وتعددت وجهات نظر الباحثين في تحديد أسباب الانحياز الأمريكي ومن أهمها ما يلي:

١. حقيقة اسرائيل الامبريالية، وهذا يصور اسرائيل بأنها حاملة طائرات أمريكية في قلب الشرق الأوسط، وأن مهمتها الامبريالية تكمن في عزل الشرق العربي عن المغرب العربي، للحيلولة دون تحقيق الوحدة العربية.

٢. حساب المصالح، فبالرغم من تحيز أمريكا والغرب الى جانب اسرائيل يحقق لها أهدافاً ومصالح كثيرة.. الا أنه في الوقت نفسه يضع مصالحها في المنطقة في خطر، لأنه يزيد من حجم العداء لها في المنطقة العربية والاسلامية.

٣. اللوبي الصهيوني، والقول بأن الصهيونية العالمية وجماعات الضغط (اللوبي) الصهيوني في أمريكا هي التي تشكل وتحدد السياسة الأمريكية اتجاه المنطقة العربية. (الطويل، ٢٠١٤، ص ١٧-٢٢)

تبنت عائلة بوش المشروع الصهيوني في استهداف العراق وشعبه، فبوش الأب قاد تحالفاً دولياً للهجوم على العراق واخراج جيشه من الكويت، فكانت النتيجة تدمير وخراب عم البلد، ازهاق أرواح وتدمير منشآت ومواقع، والعبث بارث حضاري هو الأقدم في تاريخ البشرية. فكان جورج بوش (الأب) الرئيس للدولة العظمى في العالم التي شنت الحرب الأمريكية والعالمية على العراق، وكان المهندس الأساسي لحملة العقوبات على العراق، وحتى بعد مغادرته البيت الأبيض ظل بوش مصراً على الانتقام من بابل والعراق والنشفي بحالها، ففي يوم (٩ ك ٢ من عام ٢٠٠٠) أشاد بالطيارين الأمريكيين في قاعدة أحمد الجابر في الكويت قائلاً: "انهم يقومون بعمل الرب) في مواصلتهم الاغارة بالقنابل على العراق، وأضاف قائلاً: (نحن الولايات المتحدة بلد أخلاقي، وأنتم الطيارون الأمريكيون تعلنون بياناً أخلاقياً". (الطويل، ٢٠١٤، ص ٢٤٦)

ويتكون اليمين المسيحي الجديد الآن من منظمات مختلفة راسخة ذات عضوية، تستخدم قاداتها لغة العصر وينظمون الأتباع على مستوى القاعدة، ان الحملة القوية لربط الدين بالحكومة، حل محلها جهد هادئ لحشد المواطنين المتعاطفين وكسب الانتخابات، لقد واءم اليمين المسيحي نفسه مع الممارسات التقليدية للسياسة الأمريكية. (كوربت، ٢٠٠٦، ص ١٥٥) وهكذا نجحت الصهيونية في استثمار الولايات المتحدة بكل امكانياتها لكي تكون درعها الحصين في ترسيخ وجودها والقيام عليه، كما أنها أصبحت هي من تدير دفة الحكم في أمريكا من خلال اللوبي اليهودي الذي يمتلك امكانيات مادية وغير مادية هائلة، ومعلوم أن المرشحين للرئاسة الأمريكية يتسابقون في تقديم العهود والوعود على منصة آيباك (AIPAC) في مقر اللوبي اليهودي، وهناك تعقد الصفقات والاتفاقات ليكون الرئيس خادماً لاسرائيل ومشاريعها في ترسيخ وجودها في فلسطين، وتعزيز دعمها بكل الامكانيات لتحقيق تفوقها وسيادتها على جميع دول المنطقة.

تعددت رؤى الباحثين حول الدوافع الحقيقية لمواقف أمريكا اتجاه العراق، وما قامت به من حروب واحتلال ودمار، ولا يمكن استبعاد جني أمريكا ثمارا متعددة الوجوه من كل تلك الأحداث، الا أن الدين يبقى هو الباعث الأساسي الذي دفع قادة أمريكا للقيام بكل ما قاموا به، مما يعني أن ما يعتقدونه كثيرون عن دوافع أخرى ما هو الا نتائج قد حققتها أمريكا ومكاسب حصلت عليها في اطار استثمار الدين. واستغلت الولايات المتحدة الأمريكية تعاطف العالم معها بسبب حادثة الهجمات على نيويورك وواشنطن، وتغجير برج التجارة العالمي ومبنى البنناغون في سبتمبر عام ٢٠٠١م، وذلك بعد أن فقدت زخم التأييد لها في شن الحرب كما كان على العراق عام ١٩٩١م، في حرب ما يعرف ب(حرب تحرير الكويت) من الاحتلال العراقي. أعلنت الولايات الأمريكية المتحدة حربها على الارهاب مستعرضة قوتها الجبارة في افغانستان ومنطلقة لإسقاط النظم التي دعاها الرئيس بوش "محور الشر"، وكان العراق ثاني محطات هذه الحرب بعد أفغانستان.

المطلب الأول الدين هو المحرك الحقيقي والأساسي لعقلية الانجيليين الجدد حكام أمريكا

ان مما لا شك فيه أن استهداف الولايات المتحدة الأمريكية كبلد وكشعب له بعد ديني، صرح به أكثر من مرة الرئيس الأمريكي جورج بوش "الابن"، مستندا الى نصوص في الكتاب المقدس، ومنها ما ورد في سفر التثنية: (وتأتي عليك جميع هذه البركات وتدرلك اذا سمعت لصوت الرب الهك). (سفر التثنية ٢٨) ويعكسه الويل واللعنة والهلاك يذكر السفر نفسه: (ولكن ان لم تسمع لصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل جميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدرلك). (سفر التثنية ٥٨) وقد تبين لنا أن الدين هو المسيطر على عقول تيار المحافظين الجدد في أمريكا، وتعتبر فترة حكم بوش الابن هي أسوء فترة مرت بها العقلية الأمريكية الحاكمة، لأنها بنيت على فكر ديني متشدد مرتبط بأفكار الحركة الصهيونية التي هدفت الى تقديم النبوءات التوراتية باعتبارها خارطة الطريق لاستعجال مجيء المسيح من جهة، واستخدامها كسلاح انتقام تاريخي ممتد الجذور من ممالك بلاد ما بين النهرين (أشور وبابل)، وهنا تلقتي الصهيونية في مشروعها مع أحلام المحافظين الجدد تحت غطاء مجيء المسيح بالنسبة لليهود، وعودته في نهاية الزمان بالنسبة للمحافظين. وكل شيء لدى الطرفين مبرر للوصول الى هذه الغاية، وفقا لقاعدة (الغاية تبرر الوسيلة) ولا يتهيبون من قيام الحروب وتداعياتها الكارثية، بل انهم يوغلون في استعجال وقوعها مستعدين لخوض ابشع الجرائم خلالها من نصوص دينية (نبوءات) تضمنها الكتاب المقدس. ويقول الجنرال المتقاعد "انتوني زين" رئيس القيادة المركزية للقوات الأمريكية في الشرق الأوسط سابقا: هناك مجموعة من صناعات السياسات داخل الادارة الأمريكية المعروفين باسم المحافظين الجدد الذين نظروا الى غزو العراق باعتباره الطريق الى حماية المصالح الأمريكية في المنطقة، ودعم مكانة اسرائيل فيها، تضم هذه المجموعة نائب وزير الدفاع بول وولفويتز وكيل وزارة الدفاع، ودوجلاس فيث ورئيس مجلس سياسات الدفاع السابق ريتشارد بيرل ولويس لبيبي كبير موظفي نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني، وعضو مجلس الأمن القومي الأمريكي اليوت أبرامز.. هؤلاء يتحركون وفقا لمعتقدات أيديولوجية وليس على أسس واقعية حقيقة انهم اختطفوا السياسة الخارجية الأمريكية في (العراق). (الشهراني، ٢٠٠٥، ص ٨٥-٨٨) وهذه الشهادة تعني أن قرار احتلال العراق لم يكن مجمعا عليه من قبل أركان النظام السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، اذ توجد شريحة واسعة من مسئولين رفيعي المستوى كانوا معارضين أو متوجسين من القيام بعمل كبير كاحتلال العراق دون غطاء رسمي أو أخلاقي. وكان ذلك بالضبط مما دفع وزير الدفاع الأمريكي "كولن باول" عندما ذهب لمقابلة جورج بوش مع تصاعد ازمة العراق عام ٢٠٠٢ اذ واجهه قائلا: "ان الولايات المتحدة تقدر بالتأكيد أن تستولي غزوا على العراق، لكن قواتها المسلحة تحتاج بشدة الى غطاء أخلاقي وقانوني تمارس تحته عملها هناك، لأن ذلك هو الضمان الأساسي لثقة القوات في مهمتها، الى جانب احساسها بتأييد شعبها ومساندته". (هيكل، ٢٠٠٤، ص ٣٩٤) وبالنسبة للمرجعية الدينية التي يستمد منها مخططي وقادة تنفيذ هذه الحرب فهي نبوءات في الكتاب المقدس، ولذا يكتسب سفر نبوءات دانيال أهمية بالغة في رسم معالم النزوع الصهيوني للتمدد في أرض الى الأزمنة الأخيرة، مما يعني عباد الله الصالحين في كتاب العهد الجديد، وهم كنيسة الرب، مشمولون بهذا الوصف. لذلك كان وجوب قيام دولة اسرائيل لتحقيق النبوءة. وهذا يتطلب إعادة اليهود الى وطنهم. كما يرى اليهود ومن شايعهم من الأصوليين المسيحيين. لغرض تحقيق نبوءة آخر الزمان. كل ذلك يجب أن يجري في نظرهم بالرغم من اقرار المؤرخين بأن الأسباط العشرة "مملكة الشمال" قد اختفت تماما بعد الغزو الآشوري، وأسره وسبيهم الى أراضيه، قبل قرن من سقوط مملكة يهوذا وسبي شعبها الى بابل. لقد طفحت التوراة بنصوص ومفردات تحت على الهلاك والدمار والابادة والانتقام، وعدم الاكتراف بثقافة غير اليهود، وذلك ما تبجح به أحد مؤرخي التوراة حيث أكد على أن الثقافة والتاريخ الخاصين بالمجتمعات الأصلية لا يتمتعان بأي أهمية في مقابل التاريخ التوراتي، وهذه النظرة تمثل نظرة الأوربيين جميعا.. وهذه

النظرة باتت تشكل رؤية أمريكية خالصة تنظر الى الشعوب وثقافتها نظرة دونية مع أنها شعوب أصيلة، وهذا ما يرفع هذه الدهشة أو الصدمة من تلك الهجمات التدميرية الشرسة على الآثار والمكتبات في العراق بعد دخول القوات الأمريكية الى بغداد. (علي، ٢٠٠٤، ص ١٠٨)

يقول سفر التثنية: (واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا...أهلكهم اهلاكا كلهم بحد السيف الحيثي والأموري والكنعاني والفرزي والحويين واليبوسين كما أمرك الرب الهك). (سفر التثنية ٢٠: ١٠-١٨)

هذه النصوص التوراتية بجانب غيرها التي اتخذتها أمريكا خارطة طريق في حروبها وغزوها للعراق، واستعمل الجيش الأمريكي أشجع الأساليب في حربه خلال ما سمي بحرب تحرير الكويت، وما تلاها من حصار قاس لا مثيل له قامت به وشرعته أمريكا بتواطئ دولي، ثم واصلت هذا النهج في مرحلة الاحتلال وما بعدها عام ٢٠٠٣. ان أخطر ما تضمنته التوراة بخصوص بلاد الرافدين، هو ما أطلق عليه فكرة (أرض الميعاد) التي تمثلت في ذلك الوعد الذي قطعه الرب مع ابراهيم عليه السلام، فقد ورد في سفر التكوين: (نسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات). (سفر التكوين ١٥: ١٨) وفي ذلك الوعد والميثاق واحدا من أبجديات العمل الصهيوني الحديث وصولا الى قيام الكيان الاسرائيلي، وما يزال يطرح بنفس القوة لدى اليهود ولدى قطاع كبير ممن يطلق عليهم الصهيونية المسيحية، ولهذا أخذت العراق مساحة كبيرة من حيز الجغرافية اليهودية، بحيث التحم تاريخ اليهود بتاريخ بلاد الرافدين القديم، وشكلا وفقا للرؤية اليهودية صورة من أهم الصور بقاء ورسوخا، وهي تلك الصراعات التي حدثت بين الامبراطوريات المتعاقبة في أرض العراق خاصة الآشورية والبابلية وبين اليهود في فلسطين انتهاء بتحطيم الهيكل والسبي البابلي. (علي، ٢٠١٠، ص ١١٢) في ضوء ذلك يكون احتلال العراق وفق الرؤية الأصولية الصهيونية المسيحية في صلب حوادث الطور السادس، اذ تعتبر احتلاله هو تمهيد لظهور المسيح مرة أخرى، وهي تعتمد في ذلك على وجه الخصوص على نبوءات مدونة في سفر "رؤيا يوحنا" في (العهد الجديد) وعلى الرغم من أن أغلب هذه النبوءات غامضة ورمزية، ولا تدل على ما يريدون، وفيها يرمز الى العراق باسم "بابل" الذي كثيرا ما يستعمل في الكتاب المقدس اشارة الى العراق. فقد ورد في الاصحاح ٨: ١٤، ما نصه: (فتبعه ملاك ثان يقول سقطت بابل العظيمة التي خمره بغائها سقت جميع الأمم). وفي اصحاح ١٦: ٨: (حدثت برق وأصوات ورعود وحدث زلزال شديد لم يشهد مثله بهذه الشدة منذ أن وجد الانسان على الأرض، وصارت المدينة العظيمة ثلاثة أقسام وانهارت مدن الأمم وذكر الله بابل العظيمة ليناؤها سورة غضبه). (الشهراني، ٢٠٠٥، ص ٩٠) يمكن للمتابع ان يعقد مقارنة بين أكبر كارثتين وأعظم نكبتين تعرضت لهما بغداد في تاريخها الطويل، أولها الغزو المغولي النتري لبغداد واحتلالها وتدميرها عام (٦٥٦هـ) في أعظم نكبة حلت بالفكر البشري، عندما حرقت وأتلفت نفائس الكتب والمخطوطات في مكتبات بغداد وخزائن كتبها النفيسة، على أيدي الغزاة الهمج الذين أشاعوا القتل والخراب في حاضرة الدنيا ودرة زمان وقتها بغداد عاصمة الدولة الاسلامية. والكارثة الثانية تمثلت بالاحتلال الأمريكي لبغداد في نيسان من عام ٢٠٠٣م، وما حل ببغداد من خراب ودمار هائل أحدثته الآلة الحربية لأمريكا وبريطانيا وحلفاءهما. أدى هذا الاحتلال الى هيمنة مطلقة على العراق عموما وبغداد خصوصا، وأتاح هذا الوضع للامريكان تنفيذ مخططاتهم في استهداف ومحاوله مسخ الهوية الثقافية والحضارية لشعب عمره التاريخي الى ثمانية آلاف عام. ومن الغريب أن نجد تشابها في كثير من الوجوه بين الاحتلالين اذا عقدنا مقارنة بينهما، من حيث طبيعة كل غزو وتحالفاته وتواريخ وقوعه، فالمغول اجتاحوا خوارزم في طريقهم الى بغداد، والامريكان احتلوا افغانستان في طريقهم الى بغداد، والمغول تحالفوا مع التتر، وأمريكا تحالفوا مع بريطانيا، والمغول حاصروها من الشرق والغرب، والامريكان حاصروها من الجهتين أيضا، والغزو المغولي بدأ في ١٦ محرم سنة ٦٥٦هـ، والغزو الأمريكي بدأ في ١٦ محرم، والمغول دخلوا بغداد في ٧ صفر، والامريكان دخلوها في ٧ صفر أيضا، وكان يوم دخولها هو الاربعاء من قبل المغول وكذلك الامريكان. وهناك وجوه تشابه أخرى يمكن رصدها لا نريد أن نتوغل فيها. (الطويل، ٢٠١٠، ص ٣٤٨-٣٤٩) ان الغزو الأمريكي للعراق كان يهدف الى تدمير حضارة العراق، والسيطرة على مقدراته، وتسيير أمور البلد بما يتناسب مع الرؤى والمصالح الأمريكية، لذلك كانت هناك خشية مسبقة من قبل المتخصصين في حلول الدمار بأثار العراق وكنوزه التاريخية الثمينة، وقد حذرت كاتبة غربية مما يمكن أن تؤدي اليه الحرب من تداعيات على الارث الحضاري لممالك بلاد الرافدين: انه ليس من الممكن أن ترمى قبلة على العراق دون أن تصيب مكانا أثريا، ويعد العراق من أثري مناطق العالم أثريا، ففيه بدأت الحضارة قبل حوالي ستة آلاف عام، وفيه ظهرت الكتابة المسمارية، كما تطورت فيه الرياضيات، وعلم الفلك، وتم اختراع العجلة، وفي منطقة "أور" الجنوبية، ولد النبي ابراهيم عليه السلام الأحجار هناك، كما وضعت في بقايا عاصمة الامبراطورية البابلية على يد ملوك مثل "نبوخذنصر" و"حمورابي" أولى القوانين، بالإضافة الى أن الآشوريين والسومريين والأكديين تركوا بصماتهم في تلك المنطقة.

ولم يكن ذلك التحذير الا صرخة في وجه قوى التدمير والخراب التي كانت تستهدف أهم كنوز الارث البشري في بلاد الرافدين، ولكن صوت الطغيان كان هو الأعلى غير آبه بأصوات المعارضة والرفض للحروب وتدايعاتها على ماضي وحاضر ومستقبل المنطقة. وبالرغم من هذه القيمة الكبيرة للآثار العراقية، وأهميتها للحضارة الانسانية... فقد حدث نهب وسلب وتخريب وتدمير كان يمثل كارثة كبرى مأساة عظمية ليست للعراق وحده وإنما للحضارة الانسانية أجمعها... لقد سرق المتحف الوطني العراقي والأعمال التي لم يستطيعوا سرقها قاموا بتشميمها، ثم سرقت المكتبة الوطنية، وفي الليل حرقت من قبل أناس دخلوها متسترين، وسرقت مكتبة الوثائق والمخطوطات وحرقت، وسرقت مكتبة الأوقاف، وهي من أهم المكتبات وأنفسها ثم حرقت، مما يعني أن وراء أعمال السرقة والحرق والتدمير جهات داعمة أتاحت للأيدي الأتمة العبث بأهم كنوز التاريخ البشري. (علي، ٢٠٠٤، ص ٣٥٠-٣٥١) لم يكن الدور الصهيوني في حرب العراق الأخيرة ملفتا لنظر العرب فقط، ولكنه أثار انتباه الكثير من المفكرين الغربيين في أوروبا وأمريكا ذاتها. وهذا بشهادة المنصفين منهم. وقد أبان عن وجود شراكة بين الولايات المتحدة واسرائيل في حرب العراق. وما كان يجري في الخفاء مرصود من قبل التيار الناقم على الاندماج الأمريكي الاسرائيلي، بل الارتواء الأمريكي في الحوض الاسرائيلي، مما ولد ردود أفعال واسعة أخرجت هذا التيار ورموزه عن الصمت، ليكشفوا حقيقة ما يخطط له ويحاك من أجل اسرائيل وتحقيق أحلامها في الشرق الأوسط. (ومن الشخصيات التي حذرت الولايات المتحدة بشيء من الخشية من المساس بمواقع الارث الحضاري في العراق السيد منير يشفافي، مدير مساعد اليونسكو اذ يصرح قائلاً: لقد سلمناهم (الأمريكيين) جدولاً بمواقعنا الأثرية، مع مستندات خرائط، أمل ان ينتفعوا بها). (فلاندران، ٢٠٠٥، ص ١٥٦) وهذا ما أثار جدلاً حقيقياً في هذه الأوساط الاعلامية والثقافية، وفي بعض جلسات الكونغرس أيضاً. ولم تكن تلك التساؤلات حول علاقة اليهود والكيان الاسرائيلي بالحرب على العراق مجرد هواجس، بل ان هذه التساؤلات قد طرحت بأشكال مختلفة في أمريكا وفي أوروبا. وقد أثار النائب الديمقراطي "جيمس موران" من ولاية فرجينيا عاصفة من الانتقادات في فبراير من عام (٢٠٠٣م)، عندما انتقد توجه أمريكا الجارف نحو الحرب، واعتبر تلك الخطوات جاءت بتأييد وتخطيط من الجالية اليهودية. وقد تعرض موقفه هذا الى تنديد شديد اضطره الى سحب كل ما طرحه والاعتذار عنه. (علي، ٢٠٠٤، ص ٩٨) وكان قد وصل الى العراق منذ الايام الاولى من نيسان، وقد من تسعة علماء آثار بريطانيين بينهم مدام دومونيك، الأمينة المساعدة لقسم الشرق الأدنى القديم في المتحف البريطاني، فاتهمت هذه السيدة الولايات المتحدة بالرضوخ لضغط هواة جمع التحف الفنية". (فلاندران، ٢٠٠٥، ص ١٥٦) بعد تمكن أمريكا من احتلال العراق بعد اسقاط النظام السياسي، سعت الى اشاعة الفوضى، وتشجيع ضعفاء النفوس من بين السكان على السرقة، وقصفت دباباتها مداخل وبرج المتحف العراقي الذي يعرف المختصون في العالم قيمة كنوزه، ودخله الجنود الأمريكيان مع عناصر اسرائيلية ليسرقوا أهم ما في خزائنه من آثار ونفائس لا تقدر بثمن، وتركوه مفتوحاً للصوم ليجهزوا على ما تبقى من محتوياته. فهناك اتهامات لأيد خارجية في استهداف آثار حضارة العراق وسرقتها وتدمير الباقي منها. وذلك لسعي اسرائيل الى التلاعب في تاريخ العراق وتغيير هويته، والاستحواذ على ما يعتقدون أنه ارث لهم خلال سببهم من قبل الآشوريين والبابليين، والأهم من هذا كله هو الشحن التوراتي والتلمودي والدفع باتجاه تدمير معالم وبقايا وآثار حضارات بلاد ما بين النهرين التي دمرت ممالكهم وقتلت سكانها وسببت من تبقى منهم، كما سبق ذكره في بداية البحث. ف"دانيل" أوصى بقيام مملكة اسرائيل متى تسنى لهم ذلك، وأوصى أيضاً بصب اللعنة على شعب بابل، بالرغم من أن التوراة كتبت في بابل.. على نهر الفرات، وأنها جمعت ودونت هناك. (الطويل، ٢٠١٠، ص ٣٥٨-٣٥٩) وجرى الحديث عن "جريمة ضد الانسانية" ذكرت الناس بجنكيزخان. وفي السادس عشر من نيسان/أبريل تلقى أريك شوارتز أمراً بالتدخل. وفي الثامن عشر استقال مارتن سوليفان المستشار الثاني لجورج بوش الذي ما فتيء ينبه منذ أكثر من عام قائلاً: (كان يجب أن لا يحدث هذا الأمر. في حرب كهذه يجب التنبه لهذا النوع من الأشياء). ولم يكن الرئيس الوحيد الذي لم يسمع. (فلاندران، ٢٠٠٥، ص ١٣٢) وهناك مستوى آخر شعبي تولاه فكر واعلام مستتير خصوصاً في أوروبا، وساندته قطاعات ضخمة من الرأي العام الدولي - حتى في الولايات المتحدة - لأن الكل بدأ يرى نوايا العدوان ظاهرة، بظن أن في الامكان ايقاف العملية قبل أن تتور تروسها). (هيكل، ٢٠٠٤، ص ٣٧٦) ويرى أغلب الباحثين والمهتمين بما جرى للعراق في حروب أمريكا واحتلالها له، ان ما حدث ما هو الا فصول من الانتقام الممنهج من قبل أمريكا مدفوعاً بشحن يهودي انتقاماً للسبي وما جرى آنذاك من هيمنة الآشوريين والبابليين على ممالك بني اسرائيل واخضاعها لسلطتهم. وقد تضمن الكتاب المقدس نصوصاً كثيرة تؤيد هذا، ومنه: (يا بنت بابل المخربة . طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا. طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة... سيبيكي وينحب عليها ملوك الأرض الذين زنوا بها وأترفوا معها. حين يرون دخان لهيبها. وعلى بعد يقفون خوفاً من عذابها، ويقولون: يا ويلتاه يا ويلتاه أيتها المدينة ايتها المدينة العظيمة، بابل المدينة القوية، لأنه في ساعة أتى الحكم عليك). (رؤيا يوحنا اللاهوتي).

وورد في الرؤى ملك يخبر بسقوط بابل اذ يذكر كاتب السفر نبوءة مثيرة في عرضها، اذ تصور مشهدا مرعبا يكون الأبرز فيه هو ذلك الملك النازل من السماء المكلل بالبهاء والسلطان العظيم، ليبشر بسقوط بابل التي وصفها بالبغاء، وان كل الملوك قد زنوا بها، واتجار الأرض استغنوا وبنوا ثروتهم من وفرة خيراتها ونعيمها. (رؤيا يوحنا ١٨: ١-٣) ثم سمع صوتا آخر من السماء قائلا: (اخرجوا منها يا شعبي لئلا تشتركوا في خطاياها ولئلا تأخذوا من ضرباتها، لأن خطاياها لحقت السماء وتذكر الله آثامها،، جازوها كما هي أيضا جازتكم وضاعفوا لها وضاعفوا لها ضعفا نظير أعمالها. في الكأس التي مزجت فيها امزجوا لها ضعفا. بقدر ما مجدت نفسها وتعمت بقدر ذلك اعطوها عذابا وحزنا. لأنها تقول في قلبها أنا جالسة ملكة ولست أرملة ولن أرى حزنا. من أجل ذلك في يوم واحد ستأتي ضرباتها موت وحزن وجوع وتحترق بالنار لأن الرب الاله الذي يدينها قوي. وسيبكي وينوح عليها ملوك الأرض الذين زنوا بها وتعموا معها حين ينظرون دخان حريقها. واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها قائلين ويل ويل. المدينة العظيمة بابل المدينة القوية. لأنه في ساعة واحدة جاءت دينونتك). (رؤيا يوحنا ١٨: ٤-١٠) وفي نص آخر تناول ملك قوي حجرا مثل رحي كبيرة، فألقاه في البحر وقال: بمثل هذا ستلقى بابل المدينة العظيمة. ولن يكون وجود لها بعد ذلك. وأما ما سيحل بها فهو الخراب والحزن وتوقف الصناعات والشلل التام في الحياة، وسيحل الظلام وتتعمد الأفرح جزاء سحرك وعظمتك التي استهوت قلوب الناس، فجزاؤك يا بابل أن تبقيين أثرا بعد عين. (رؤيا يوحنا ١٨: ٢١-٢٤) هذه النصوص هي من رؤيا يوحنا، وهي رؤية طويلة تقع في ست وستين صفحة من القطع المتوسط، تجمع رؤى توراتية سابقة عليها مثل رؤيا حزقيال ويونيل وزكريا وأشعياء.. أما الجامع بينها، فهو أن الأحداث بعد وقوعها، يعاد بها الى الماضي، على أنها كانت نبوءة أحد القديسين قبل وقوعها.. بينما يذهب بعض المفسرين المسيحيين، الى أن سفر الرؤيا غير متجانس أصلا، بل هو محاولة غير محكمة، لجمع أشتات من النبوءات السابقة، عبر عقود من القرن الأول للميلاد). (حمدان، ٢٠٠٤، ص ٢١٦-٢١٧) هذه الرؤى برغم كل المطاعن لدى مؤرخي ومفسري الكتاب المقدس، الا أن الولايات المتحدة اتخذتها كخارطة طريق للانتقام من العراق شعبا وأرضا وتاريخا وحضارة، فطوعت كل الصعاب لتجهز على أهم ارث بشري بقي شاهدا على عظمة انسان بلاد الرافدين، الذي أشاد للبشرية حضارة عاشت على عطائها وابداعها بقية المجتمعات البشرية القديمة، وكانت نقلة نوعية في تطور الفكر البشري.

المطلب الثاني شهادات وحقائق عن استهداف الاحتلال الأمريكي لأثار العراق وارثه الثقافي

ان الارث الحضاري والثقافي الذي ورثه العراقيون عن أسلافهم القدامى من حضارات بلاد الرافدين القديمة (آشور وبابل) كان بمثابة كنوز لا تقدر بثمن، ووجودها ماثلة للعيان محط فخر واعتزاز لهم، وهي شهادة على عظمة الأجداد ودورهم الرائد في مسيرة التاريخ البشري، واستهدافها وتدميرها كان بمثابة طعنة غائرة في قلب كل عراقي ينتمي لهذا البلد، ويعتز بتاريخه العريق. لقد تنبه المختصون بالآثار والمنظمات الدولية المعنية بالحفاظ عليها الى خطورة الوضع، وكما اسلفنا في ذكر كثير من المواقف والجهود لابعاد تلك الأماكن من متاحف ومواقع أثرية عن أتون الحرب وتداعياتها حفاظا عليها من التدمير والسرقة والعبث، الا أن وعود أمريكا المهلهلة لم تكن الا هواءا في شبك، ولذلك ما حدث لتلك الكنوز من سرقة وتدمير وعبث كان ابتداءا على أيدي القوات الأمريكية ومن أحضرته معها من تجار الآثار، ولاحا فسح المجال للموصل أن يسرقوا او يدمروا الباقي. يصف الدكتور "هاشم الملاح استاذ التاريخ في جامعة الموصل" ما حدث من نهب وسلب في الموصل قائلا: في الليل هجمت مجموعة على متحف الحضارة في الموصل، وكانت الآثار مخزنة في أماكن حصينة، فقام هؤلاء بتحطيم جدران هذه الغرف الحصينة، وقاموا بسرقة الآثار الموجودة فيها. وللعلم أن سور نينوى الذي شيده الآشوريون لا زالت أجزاء منه ماثلة للعيان، شهادة على عظمة بناتها، وقسم من هذا السور يقع شمالي المدينة قرب مباني جامعة الموصل. فمرة أخرى أزيلت نينوى من الوجود وأبيحت للغوغاء، صودرت آخر آثارها وغنائمها وانصببت عليها لعنات لا نهاية لها، وحقا ما قاله ناحوم ١: ٣-٧ ومنه: أن يهوه اله حسود منتقم). (الطويل، ٢٠١٠، ص ٣٥٢) أما السيدة "تبيهة الأمين مديرة المتحف الوطني العراقي" فقد ذكرت: أن عدد التحف الأثرية والتاريخية التي سرقت أو دمرت في المتحف الوطني العراقي فقد وصلت الى (٧٠) ألف قطعة أثرية تغطي تاريخ خمسة آلاف عام من تاريخ العراق. ان ما يؤلم المختصين من سرقة أنفس الكنوز الأثرية هو أن هذا الفعل يتعدى قضية الحرب والاحتلال، وهذا الأمر يمثل اعتداء واستهانة بأهم موروث بشري تركه الانسان في مسيرته التاريخية، فحضارة بلاد الرافدين تعبر واضحة أسس التمدن والثقافة والتطور والابداع للبشرية جمعاء. ان تدمير التراث هو تدمير روح الأمة بل الأمة بحد ذاتها، وهذا ما حدث في بلاد ما بين النهرين، في حين كان السياسيون منشغلين برسم خريطة جديدة لنظام الحكم وفق الانتماءات الدينية والقومية والعرقية (الطويل، ٢٠١٠، ص ٣٥٣)

ففي أعقاب احتلال بغداد، نهبت المتاحف التاريخية الأثرية، وسرقت الوثائق والمخطوطات داخل متاحف بغداد، ناهيين، ومحطمين القطع الأثرية، والجنود الأمريكيون يتفرجون على ما يجري وكأنه لا يخصهم. فالمتحف الوطني العراقي كان هو الضحية الأولى بهجوم محكم، أخذ للصوص معظم كنوزه الثمينة، حيث جاءوا مجهزين بتجهيزات لرفع أثقل الأحمال، وكان البروفيسور "جيبسون" من جامعة شيكاغو ضمن جماعة النقت مسؤولين في البنتاغون عدة مرات، وقدمت لهم قائمة بالمواقع التي يتعين حمايتها. (علي، ٢٠١٨، ص ٦٩-٧٠) وحول ما تشكله هذه الآثار والتحف من قيمة انسانية، قال "الدكتور طالب البغدادي الخبير في الآثار والتحف" معلقا على شهادات المختصين بالآثار قائلا: العدد لا يهمني بقدر يهمني ما تحتويه هذه المؤسسات، وما يحتويه المتحف العراقي.. كل المحتويات فيه نفيسة، ولكن أنفس المحتويات في قناعتني أنك تجد في هذا المتحف كيف استطاع الانسان ان يخترع الكتابة لأول مرة في الكون، ويقدم للبشرية كيف يكتب الفكر، وكيف تتقل الفكرة على الطين، وعلى الرقم الطينية السومرية؟! نجد في هذا المتحف أول قيثارة صنعها الانسان برأس العجل الذهبي المثبت عليها، تجد في هذا المتحف "ملحمة جلجامش" وهي مسطرة ومحفورة على لوحات من الرخام.. وتجد شرائع "أورنمو" وهي أقدم من شرائع "حمورابي" بحوال ألف سنة.. تجد المعادلات الرياضية في الزمن البابلي، تجد مكتبة "أشور بانيبال" الملكية التي تحوي الآلاف مؤلفة من اللوحات المرمية والمنحوتة.. أنكلم عما تحتويه من أشياء ساهمت في تطور الانسانية. (الطويل، ٢٠١٠، ص ٣٥٧) ومما يكشف جوانب الايغال في الجريمة هو تجاوز القضية حدود السرقة، والقيام بتدمير وتخريب ما لا يمكن حمله او سرقة، وكان الأمر يستدعي الطمس الكامل لتلك الآثار والشواخص التي كانت شاهدة على عظمة بناتها ومن أشادها. يقول خبراء الآثار: ان المتاحف العراقية تعرضت لثلاثة أنواع من السرقة وهي: أعمال التخريب والنهب الفردية، وسرقات لقطع أثرية محددة بتكليف من عصابات اجرامية، اضافة لما وصفوه بتخريب ثقافي متعمد بدوافع دينية أو سياسية، ولكن أهم عمليات السطو التي تعرضت لها المواقع الأثرية في العراق، تتمثل في هجوم قام به مائتي مسلح بمدافع رشاشة على مدينة نمرود الأثرية ومتحفها في نينوى شمال بغداد ونهب محتوياتها، وتقطيع تمثال "الثور المجنح" في موقع "شورباك" بالمحافظة ذاتها. (فلاندران، ٢٠٠٥، ص ١٨٨) ونهب المتحف الوطني العراقي، وسرق منه ١٧٠ ألف قطعة من معروضات الآثار، التي تعود الى آلاف السنوات، منها أنية زهور من المرمر يعود تاريخها الى ٣٥٠٠ ق.م. وتقدر قيمة هذه الآثار بـ ١١٠٠ مليون دولار، كذلك سرقت قطع ذهبية ولوحات ومخطوطات نادرة". (علي، ٢٠١٨، ص ٧٠) ويفترض أن يكون لدى الأمريكان اصغاء لنداءات اليونسكو وخبرائها الذين حذروا مسبقا من المساس بالارث الحضاري والثقافي لبلاد الرافدين، ولكن تلك النداءات ذهبت أدراج الرياح لأن الأمريكان كان هدفهم السرقة والتدمير الشامل. ولم تنفع مع الأمريكان أية صرخات مهما كان موقعها، بل وحتى الاتفاقات الدولية ضربت بها عرض الحائط، فقامت بمخافتها وتخطينها وعدم الالتفات الى بنودها. وقد شدد المجلس الأعلى للآثار في مصر على أهمية الحفاظ على التراث الحضاري العراقي في خضم الحرب الدائرة باعتباره تراثا عالميا، وحملت اللجنة الدائمة للآثار المصرية الولايات المتحدة وبريطانيا مسؤولية الحفاظ على الممتلكات الثقافية العراقية، تنفيذا لاتفاقية "لاهاي" الصادرة عام ١٩٨٤م، واتفاقية التراث العالمي الصادرة في "باريس" عام ١٩٧٢م بشأن حماية الممتلكات الثقافية أثناء النزاعات المسلحة. (الطويل، ٢٠١٠، ص ٣٥٣) كما بعث السيد مدير عام "اليونسكو" الى السيد "كوفي عنان" رسالة في شهر (نوفمبر ٢٠٠٢م) أبلغه فيها بأهمية التراث الثقافي العراقي، وضرورة المحافظة عليه، وعندما بات وقوع الحرب وشيكا بعثت (اليونسكو) رسالة الى السلطات الأمريكية بينت فيها خارطة المواقع الأثرية والتاريخية، وقائمة المتاحف العراقية المعروفة لدى المنظمة الدولية للمتاحف، حيث رد على الرسالة الميجور "فارولا" من الجيش الأمريكي وقال: (ان السلطات الأمريكية ستتخذ الاجراء اللازم). (الطويل، ٢٠١٠، ص ٣٥٤) وتتجه أصابع الاتهام الى المجلس الأمريكي للسياسة الثقافية ACCP، وهي مؤسسة تضم في صفوفها مجموعة من جامعي القطع الأثرية والفنية، ورجال القانون، وبائعي التحف الفنية، بسبب تشجيعها على سرقة الارث الثقافي العراقي، ونتيجة لذلك وصلت القطع الأثرية المسروقة الى أوروبا وأمريكا، لتباع في لندن ونيويورك، وهذا ما دفع ثلاثة الى الاستقالة من اللجنة الاستشارية للممتلكات الثقافية في البيت الأبيض الأمريكي، وعلى رأسهم رئيس اللجنة (مايكل سوليفان) احتماجا على ما حصل في العراق. (علي، ٢٠١٨، ص ٧١) ومن الجدير بالذكر أن ثلاثين خبيرا دوليا من الأخصائيين في تراث الشرق الأوسط وآثاره، أعربوا عن صدمتهم الشديدة من الأضرار الخطيرة وعمليات النهب التي لحقت بالتراث العراقي الثقافي.. ونشر الخبراء في مؤتمر صحفي عقد بمقر اليونسكو في باريس لائحة من المطالب موجهة الى كل المسؤولين عن حفظ النظام لإعادة هذه القطع الأثرية المسروقة، أو التي تم تصديرها بطريقة غير شرعية من العراق، كما اتهم علماء آثار بريطانيون القوات الأمريكية والبريطانية بإهمال حماية المتاحف والمواقع الأثرية، مقابل حرصها على تأمين حقول النفط وأبدوا أسفهم لضياع آثار عراقية لا تقدر بثمن. ويقول "الكس هنت" الباحث والأمين على الآثار في مجلس الآثار البريطاني في "يورك"

شمالي بريطانيا: "ان حماية وزارة النفط واهمال حماية متحف الآثار في بغداد يعكس موقف التحالف من التراث الثقافي". (الطويل، ٢٠١٠، ص ٣٥٧) ولهول ما رصده وشاهده عدد من المسؤولين في البيت الأبيض من خراب وتدمير ممنهج لم يحتملوا أن يبقوا شهود زور على أكبر جريمة استهدفت التاريخ البشري. وازاء هذا الموقف اللامسؤول والهمجي للقوات الغازية ازاء ثروات العراق وحضارته، قدم ثلاثة من المستشارين للرئيس "جورج بوش" استقالاتهم من مناصبهم، احتجاجا على فشل القوات الأمريكية في منع نهب متحف بغداد (المتحف الوطني العراقي). وقال أحد المستشارين واسمه "ريتشارد لانير": ان الولايات المتحدة تعرف ثمن النفط ولكنها لا تعرف قيمة الآثار التاريخية، وأضاف: ان الجنود الأمريكيين أظهروا لا مبالاة تامة حيال التراث الثقافي للعراق. (الطويل، ٢٠٠٤، ص ٣٥٧) ذكرت منظمة الجمارك العالمية خلال ورشة عمل في بغداد أن ضباط الجمارك استردوا عام ٢٠١٧ أكثر من ١٤ ألف قطعة أثرية عراقية، وفي هذا تحذير الى أن المواقع الأثرية العراقية لا تزال في خطر. وقبل طرد داعش من الموصل عام ٢٠١٧ استولى على آلاف القطع الأثرية، وقام بتفريتها والمتاجرة بها، وما لم يستطع سرقته فقد استعان بالجرافات والحفارات لتدمير جداريات وتمائيل في مدينة نمرود الآشورية القريبة من الموصل، وقالت "ماريا بولنر" المسؤولة بمنظمة الجمارك العالمية: (ان تقارير مسؤولي الجمارك في أنحاء العالم بشأن عمليات الضبط المتعلقة بالتراث العالمي "ليست سوى قمة في جبل الجليد") (independetarabia, 2019) يتساءل وليام دوغال في صحيفة صندي هيرالد عما اذا كان الوسطاء والتجار الأمريكيين قد نظموا مقدا عملية نهب المتاحف. مجموعة تسمى "المجلس الأمريكي للسياسة الثقافية" اجتمعت بالمسؤولين في وزارتي الدفاع والخارجية قبل الحصار، وضمن تلك المجموعة كان عدد من التجار الكبار الذين فضلوا التساهل في القيود الموضوعية على التصدير من العراق. البروفيسور اللورد رينفرو كيمستورن، الذي يقود فريق التنقيب عن الآثار من جامعة كامبردج صرح: (آخر ما يحتاجه المرء هم مجموعة من الأمريكيين المتربصين بتجار التحف والقطع الفنية كي يتدخلوا في عمله). ان عمليات النهب التي تمت في بغداد كانت هائلة، مما يجعل مقارنة الوضع برمته أقرب الى تدمير "المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي" بل أيضا متحف الميتروبوليتان وسيمشسونيان في واشنطن. (غيبسون، ٢٠٠٤، ص ٣٧٨-٣٧٩) ومن الجدير بالذكر أن كثيرا مما حدث من نهب وتخريب لآثار آشور في نينوى وما حولها خلال فترة احتلالها من قبل "داعش" لم يوثق ولم ينل ذلك الاهتمام الذي يفترض أن يناله، وكل ما معلوم عنه هو ما نقلته بعض قنوات الاعلام وشهادات فردية لأشخاص عاينوا ما جرى، ولكن المؤكد أن كنوزا أثرية لا تقدر بثمن قد طالتها يد اللصوص وتجار الآثار، وما جرى من تصوير لحالات من تكسير وتخريب الآثار كبيرة الحجم كالآثار الممنحة انما جرى على نسخ ومجسمات من تلك الآثار وليست الآثار الأصلية، وأما الأصلية فقد اختفت ولا أحد يعلم مصيرها. كل ما جرى وحدث على أرض العراق مهد البشرية التي قامت فيها أقدم وأعظم الحضارات في التاريخ الانساني، تمنحنا اشارات وتحمل أبعادا أصبحت مفضوحة ومشخصة، فالدور الصهيوني ورؤاه الكتابية، ألبست قادة أمريكا من الأصوليين الجدد قفاز المنازلة، لينزلوا الى حلبة الصراع الدولي، غير أبهين بمنظومة القيم السماوية والعلاقات الانسانية، تزلفا واستجداء لمباركة أسيادهم الصهاينة. (هذا هو البعد الحقيقي للحرب، الانتقام والثأر من السيبي وأشور وسرجون، وصلاح الدين، وكل الذين وقفوا في وجه الشعب المختار وأحفاده وأحلامه في تأسيس مملكة الرب من النيل الى الفرات، من نبوخذنصر وبابل (أم العاهرات) التي توعدتها التوراة بأشد أنواع الدمار). (الطويل، ٢٠٠٤، ص ٣٦٠) وبناءا على سبق ذكره في ثنايا البحث، وما جرى على أرض الواقع من عمليات حربية وعسكرية تعرضت لها ممالك بلاد الرافدين القديمة (آشور وبابل) على مرأى ومسمع من العالم كله، واستهداف رموز وكنوز الارث الحضاري والثقافي لتلك الممالك، وما حدث من سرقة أو تخريب أو تدمير لتلك الكنوز النفيسة التي لا تقدر بثمن بحسب رأي علماء الآثار على المستوى العالمي، كل ذلك يمثل طبيعة العقلية الصهيونية العدوانية التي نجحت في امتطاء ظهور قادة أمريكا من التيار الأصولي اليميني، وشحن عقولهم بموروثات كتابية من رؤى ونبوءات توعدت آشور وبابل بالانتقام، ولولا الموقف المتخاذل من قبل دول العالم كافة التي التزم أغلبها الصمت، أو الرضا وربما الدعم المباشر من فئة أخرى، ولولا أن تقدم بعض دول الجوار العربي والاقليمي كالسعودية والكويت وايران المساعدة والأرض لنزول القوات عليها واستخدامها منطلقا للهجوم على العراق وشعبه، لما نجحت الصهيونية وحليفها أمريكا في تدمير سور الأمة ودرعها الشرقي عراق العروبة والحضارة والتاريخ .

الاستنتاجات والتوصيات:

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه انجاز هذا البحث، بعد أن قدمت لمحة تاريخية عامة في طبيعة أحداث جرت في عصور غابرة قديمة، مرورا بظهور التيار المسيحي الأصولي وعلاقته باليهود والصهيونية من جهة أخرى، ثم رصد ما جرى للإرث الثقافي والحضاري لممالك بلاد الرافدين القديمة في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣.

ومن خلال مفصل البحث نستخلص أهم الاستنتاجات والتوصيات:

١. تتسم العقليّة اليهودية بنزعة الانتقام من الآخرين، وتحفظ بموروث مشوه وموتور من ركام الماضي، محاولة بعثه من جديد في اشاعة الفوضى، ونشر الحروب، وايقاع أقصى ما يمكن من الخراب والدمار، وهذا ما يعتبرونه ديونا تاريخية لازمة السداد ولو بعد زمن طويل.
٢. أن الروابط الخفية بين اليهود من جهة والتيار البروتستانتية كانت ولا زالت فاعلة ومؤثرة منذ بداية ظهور هذا التيار والى وقتنا الحاضر.
٣. عمق التأثير الصهيوني في عقول أصحاب التيار اليميني المسيحي الأصولي في أمريكا وأوروبا، ونجاح الصهيونية في تسخير الولايات المتحدة الأمريكية لصالحها، حتى وان وصل الأمر الى حد الاضرار بمصالح أمريكا.
٤. تلاقي المشروعين الصهيوني المستعد لتدمير العالم من أجل استعجال مجيء المسيح لدى اليهود، مع هوس البروتستانت الأصولي الحالم بالمجيء الثاني للمسيح، لتحقيق المجد الألفي السعيد.
٥. أن ما جرى من تدمير وسرقة لآثار العراق، وما جرى على أيدي لصوص الآثار، وتحت رصد أعين جنود الاحتلال الأمريكي يمثل استجابة تامة لوعود تورانية ونبوءاتها.
٦. ان جريمة تدمير الارث الحضاري لممالك بلاد الرافدين القديمة يتخطى كونه اعتداء على دولة هي العراق، وباجماع علماء الآثار يعتبر اعتداء صارخا وجريمة كبرى على أقدم ارث عالمي أبدعه العقل البشري، وشادت صرحه أيديهم، كان ماثلا كشاهد حقيقي على عظمة صناعه وعلو كعبهم في الابداع والريادة في تطور الفكر البشري.
٧. ضرورة قيام الدولة العراقية بملاحقة الجناة من لصوص الآثار، حكومات وأفراد، واستعادة ما سرقوه من قطع آثار ونفائس موجودة في متاحف العالم، باعتباره ارثا انسانيا عالميا، يجب الحفاظ عليه من قبل الجميع.
٨. اصدار قوانين وتشريعات صارمة، تجرم العبث بالإرث الثقافي والحضاري، وحماية المتاحف والمواقع الأثرية بصورة مستدامة. وختما أتمنى أن أكون قد أسهمت في بحثي هذا عن قضية معاصرة تمتد جذورها الخفية الى عصور متقدمة، وابقاء هذه القضية ماثلة للعيان كي لا يطويها النسيان، ولا تبقى كنوزنا التاريخية والأثرية بين أيدي اللصوص، أو تتزين بها متاحف العالم على رفوفها وعلى دكات صالاتها، أو في أروقة قاعاتها، مسروقة أو معتصبة من قبل الدول والجماعات التي استغلت ارثنا الحضاري الانساني للمتاجرة به، أو على الأقل لتجريدنا منه وابقائه في متاحف غريبة عنه بدل أن يشخص في متاحف بلدنا شاهدا على عراقية أمتنا وتجذر عطائها الحضاري، باعتبارها أم الحضارات ومنهل الابداع والتطور في تاريخ البشرية.

والله أسأل التوفيق والسداد.

المصادر والمراجع:

١. الكتاب المقدس، ١٩٩٠، دار الكتاب المقدس، عمان.
٢. ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين، ١٤٢٤هـ، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت.
٣. بوست، ج. (٢٠٠٠م) فهرس الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس. بيروت.
٤. الجهني، د. مانع بن حماد، ١٤٢٠هـ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والارشاد، الرياض.
٥. الحارثي، ابراهيم، الصهيونية من بابل الى بوش، دار البشير للثقافة والعلوم.
٦. الحسن، د. يوسف، ٢٠٠٢، جذور الانحياز: دراسة في تأثير الأصولية المسيحية في السياسة الأمريكية اتجاه القضية الفلسطينية، (سلسلة محاضرات الامارات ٥٨) ط١، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي.
٧. حمدان، حمدان، ٢٠٠٤، على أعتاب الألفية الثالثة الجذور المذهبية لحضارة الغرب وأمريكا لاسرائيل، ط١، دار بيسان، بيروت.
٨. الرازي، محمد بن ابي بكر، ١٩٩٩، مختار الصحاح، المكتبة العصرية و الدار النموذجية صيدا - بيروت.
٩. زيبب، نجيب، ٢٠٠٧، التاريخ الحقيقي لليهود منذ نشأتهم وحتى الآن، ط٣، دار الهادي، بيروت.
١٠. سغفان، د. كامل، ١٩٨٨، اليهود تاريخا وعقيدة، ط١، دار الاعتصام، القاهرة.
١١. السماك، محمد، ٢٠٠٣، الدين في القرار الأمريكي، ط١، دار النفائس، بيروت.
١٢. الشريف، ريجينا، ١٩٨٥، الصهيونية غير اليهودية، عالم المعرفة، الكويت

١٣. الشقري، عبدالله احمد لطفي، ٢٠١٦، الأصولية الدينية حول العالم "الأصولية الانجيلية أنموذجاً"، ط١، مؤسسة وعي للابحاث، الدوحة - بيروت.
١٤. الشهراني، د.سعد بن علي بن محمد، ٢٠٠٥، الجزور الاعتقادية للارهاب في المسيحية الانجيلية، مكة المكرمة.
١٥. طعيمه، صابر، ١٩٩١، التاريخ اليهودي العام، ط٣، دار الجيل، بيروت.
١٦. الطويل، يوسف العاصي، ٢٠١٤، البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود واسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية خلال الفترة (١٩٤٨-٢٠٠٩)، ط١، مكتبة حسن العصرية، بيروت.
١٧. الطويل، يوسف العاصي، حملات بوش الصليبية على العالم الاسلامي، ط٢، صوت القلم العربي. مصر.
١٨. عطا، زبيدة، ٢٠٠٣، اليهود في العالم العربي، ط١، عين للبحوث والدراسات الانسانية والاجتماعية، الهرم.
١٩. علي، عبدالجليل علي، ٢٠٠٤، الحرب على العراق رؤية توراتية يهودية، ط١، دار أسامه للنشر، عمان.
٢٠. علي، محمود محمد، ٢٠١٩، المخطط الأمريكي لاحتلال العراق، ط١، دار الوفاء، الاسكندرية.
٢١. غيبسون، كينيون، ٢٠٠٤، أوكار الشر دراسة حول آل بوش ووكالة المخابرات المركزية والشكوك حول هجمات ١١ / ٩، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت.
٢٢. فلاندران، فيليب، ٢٠٠٥، كيف نهب العراق حضارة وتاريخا، تعريب: أنطوان أ. ألهاشم، ط١، عويدات للنشر والطباعة، بيروت - لبنان.
٢٣. قدح، د.محمود عبدالرحمن، ٢٠٠٦، موجز تاريخ اليهود والرد على مزاعمهم الباطلة مجلة الجامعة الاسلامية، (العدد/٧).
٢٤. كوربت، مايكل، و كوربت، جوليا، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ط٣، القاهرة.
٢٥. لمعي، ألقس اكرام، ١٩٩٣، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ط٢، دار الشروق، القاهرة - بيروت.
٢٦. لوبون، غوستاف، ٢٠٠٩، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتير، ط١، مكتبة نافذه، الجيزه.
٢٧. لوستك، ايان، ١٩٩١، الأصولية اليهودية في اسرائيل من أجل الأرض والرب، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.
٢٨. مارسدن، جورج. ٢٠٠٠، كيف نفهم الأصولية البرستانتية والايفانجيليكية، ترجمة: نشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية، ميتشغان.
٢٩. المسيري، د.عبدالوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، كتاب ضوئي، www.elmessiri.com
٣٠. المعلم، عادل، ٢٠٠٤، مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا، مطبعة الشروق الدولية.
٣١. مهران، محمد بيومي، ١٩٩٩، تاريخ بنو اسرائيل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
٣٢. الموعدة، كنيسة الرب، ٢٠١٠، الشرق الأوسط في نبوءات الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في العالم العربي.
٣٣. ناجي، سليمان، ٢٠٠٧، اليهود عبر التاريخ، ط١، دمشق - بيروت.
٣٤. هالسل، غريس، ٢٠٠٣، النبوءة والسياسة، ترجمة: د.محمد السماك، ط٣، دار الشروق، القاهرة.
٣٥. هيكل، محمد حسنين، ٢٠٠٤، الامبراطورية الأمريكية والاغارة على العراق، ط٣، دار الشروق، القاهرة.
٣٦. Independetarabia، ذاكرة العراق الأثرية..بين النهب والتدمير، الثلاثاء ٢٩ / ك٢ / ٢٠١٩.